تأثر النورمان (قراصنة الفايكنج) بالحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية (٤٤٤-٥٩١هـ/ ١٠٥٢-١١٩٤م)

دكتور/ يوسف عبد الحميد بن ناجي
أستاذ تاريخ الحضارة العربية الإسلامية المساعد
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، كلية التربية الأساسية
قسم الدراسات الاجتماعية، الكويت

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد...

إن لكل دولة زمن ورجال ولكل حقبة من التاريخ إقبال وإدبار ولكل عصر أوان، ولقد فتح المسلمون الأوائل الأندلس بسيوف قلوبهم وأيديهم ونشروا الإسلام فيها وأسسوا حضارة عظيمة على مر الزمان وأخذت صقلية منها النصيب الأوفر والحظ الأغلب، ثم دار الزمان دورته وانقلب الرأس على العقب، وسقطت صقلية وبعدها الأندلس في أيدي النصارى وصارت بلدة نصرانية بعدما صدع الآذان المقدس في جنباتها.

واستولى النورمان (الفايكنج) عليها وتراوحت المعاملة من النورمان إلى المسلمين بين يمنة ويسرة ولكن كانت في بداية الأمر انبهار نصارى النورمان بالحضارة العظيمة للمسلمين وما وصلوا إليه فما كان منهم إلا أنهم استعربوا طمعًا في هذا التقدم والرقي المتفرد.

واستفاد النورمان من المسلمين على قدر كبير وتأثروا بالحضارة الإسلامية في الأندلس لدرجة كبيرة فقد استعانوا بالمسلمين في شتى مجالات الحياة، ووصل الأمر إلى الاستعانة بهم والاستفادة من علوم المسلمين حتى في المجال العسكري، والإقتصادي، وغير ذلك، وأظهر النورمان في بداية الأمر تسامحًا دينيًا ما دام المسلمون تحت سيطرتهم، ووفق مصلحة النومان الشخصية.

وهذا ما صدر عن النورمان عند دخولهم إلى صقلية فقد استعربوا بكل الطـرق والوسائل ولهذا أسباب ودوافع منها تقوية دولتهم والاستفادة من هـذه الحـضارة وتلـك الكوادر النادرة وميراث دولة عظيمة وثبوا على أكتافها.

ومن أجل ذلك وغيره كانت الرغبة في كتابة هذا البحث ؛ ويتكون البحث مـن مقدمة وستة مباحث وخاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصل البحث إليها.

الكلمات المفتاحية:

الفايكنج ــ النورمان ــ صقلية ــ الأندلس ــ الحضارة ــ الحضارة .

Research Summary:

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the Messenger, as a mercy to the worlds, Muhammad, may God bless him and grant him peace, and after…

Every country has a time and men, and every era of history has its beginning and end, and every era has its time. The first Muslims conquered Andalusia with the swords of their hearts and hands, spread Islam in it, and established a great civilization over time, and Sicily took from it the largest share and the majority of luck. Then time turned its course and the head turned on its head, and it fell. Sicily, and then Andalusia, were in the hands of Christians, and it became a Christian town after the sacred call to prayer sounded in its surroundings.

The Normans (Vikings) took control of it, and the treatment of the Normans to the Muslims ranged from right to left, but at the beginning of the matter, the Norman Christians were fascinated by the great civilization of the Muslims and what they had achieved, but they were only Arabized, greedy for this unique progress and sophistication.

The Normans benefited from the Muslims to a great extent and were influenced by the Islamic civilization in Andalusia to a great extent. They sought help from the Muslims in various areas of life, and it reached the point of seeking their help and benefiting from Muslim knowledge even in the military, economic, and other fields. The Normans initially showed religious tolerance as long as Muslims are under their control, and according to the personal interest of the Noman.

This is what the Normans issued when they entered Sicily. They Arabized by all means and means, and this has reasons and motives, including strengthening their state and benefiting from this civilization, these rare cadres, and the inheritance of a great state on whose shoulders they rose.

For this and other reasons, the desire to write this research was; The research consists of an introduction, six sections, and a conclusion that includes the most important results that the research reached.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على جمع المعلومات وتحليلها، ثم استخلاص النتائج.

الدراسات السابقة:

١) الوجود-الإسلامي-في-صقلية-في-عهد-النورمان-بين-التسامح-والاضطهاد-٤٤٤-٥٩١هـ--١٠٥٣-١١٩٤م، علي الزهراني، مجلة جامعة أم القرى، المجلد٦.

٢) الصلات الحضارية بين صقلية النورمانية وبلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين ٥ ــ ٦هـ _ ١١ ــ ١٢م، العيد بكري، مفتاح خلفات، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد٣، العدد٣، سبتمبر ٢٠٢١.

٣) النورمان والمسلمون في جزيرة صقلية في عهد الكونت روجر، رشيد تومي، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب.

٤) التاريخ المبكر للفايكنج في الرحلات العربية، عبد الحكيم الفرقان، مركز نماء للبحوث والدراسات.

أهداف الدراسة:

ــ التعرف على تاريخ الفايكنج وأصولهم وحضارتهم.

ــ إبراز أثر التواصل الحضاري بين الفايكنج وغيرهم.

ــ التعرف على تاريخ صقلية بعد سقوطهت في أيدي النورمان.

ــ رصد استعراب النورمان عند دخولهم صقلية بعد الفتح الإسلامي لها.

ــ التعرف على أحوال مسلمي صقلية في عهد النورمان .

خطة الدراسة:

تناول البحث العناصر الآتية:

المبحث الأول: أصل بالفايكنج (النورمان)

المبحث الثاني: الفايكنج تاريخيًا.

المبحث الثالث: الجانب الحضاري للقراصنة الفايكنج (النورمان).

المبحث الرابع: التجارة بين بلاد الإسلام والفايكنج.

المبحث الخامس: سقوط صقلية في أيدي النورمان.

المبحث السادس: تأثر النورمان بالحضارة الإسلامية في صقلية.

الخاتمة وتشتمل على :أهم النتائج.

وأخيرًا أدعو الله عز وجل أن يقبل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم فإن أحسنت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دكتور/ يوسف عبد الحميد بن ناجي

المبحث الأول: أصل بالفايكنج (النورمان)

أولاً: التعريف الفايكنج (النورمان) وأصلهم وموطنهم.

يعرف الفايكنج (النورمان) في بعض المصادر العربية باسم الأردمانيين أو المجوس[١].

أما في المراجع الأوربية فيعرفون باسم الفايكنج (vikings) وقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة فايكنج (Viking)، وأيضًا المسميات التي أطلقت على هؤلاء الغزاة؛ فأصلها مجهول غير أنه ظهرت اجتهادات من الباحثين حول مصدر الكلمة؛ فهناك من يرى أنها كلمة مشتقة من لفظ (vik) أي الخليج أو "الفيورد أو ممر بحري، ويراد بذلك عادة أولئك القراصنة الملاحين الذين يُؤوون إلى الخلجان ويستخدمونها كمراكز يشنون منها الغارات على ما يجاورها[٢].

وهناك من يرى أنها اشتُقت من الكلمة الأيسلندية القديمة vika وتعنى رجال المجداف[٣].

ثانيًا: التعريف بالنورمان: النورمان كلمة محرفة عن اللفظ اللاتيني Northmen،وهي مؤلفة من قسمين،Nord أي شمال،وManni أي رجل،وNorth Mann وتعني رجال الشمال[٤]،كما تعني سكان الشمال،ويطلق هذا الإسم على مجموعة الشعوب التي سكنت شبه جزيرة اسكندناوة[٥]،وحوض بحر البلطيق[٦]،ثم تحركت نحو جنوب القارة، وشرقها[٧].

وأطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون ولا سيما الأندلسيون عليهم مصطلح الإردمانيين وأحيانًا المجوس، أما الثانية فقد أطلقها المسلمون عليهم، لأنهم كانوا يشعلون النار في كل موضع يمرون به، أو في غزواتهم، وفي البلاد التي يحلون بها لإرهاب أعدائهم وللاستئناس بها[٨].

---

(١) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق/ إحسان عباس ــ الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ، تونس الطبعة: الأولى ١٩٨١م ج٥ ص١٨١، ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت. نحو ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الثالثة ١٩٨٣م ج٢ ص٢٤١، ولا يقصد بهم عبده النار في إيران، فأما التسمية الأولى فواضحة الدلالة فالأردمانيون هم النورمانيين أي أهل الشمال، وقلب النون إلى همزة في أوائل أسماء الأعلام ليس بغريب في لسان أهل الأندلس، فهم يقولون مثلاً أربونة في نربونة، وأما تسميتهم بالمجوس فلم يكن ذلك لأنهم كانوا مجوسًا، وإن كان معظمهم في ذلك الحين وثنيين فيهم من يعبد النجوم ومظاهر الطبيعة، ولعل العرب قد أطلقوا عليهم هذه التسمية؛ لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يمرون به وكانوا إذا نزلوا بمكان وعسكروا فيه أشعلوا نارًا ضخمة في معسكرهم، وإذا فاجأوا بلدًا أشعلوا النار في مبانيه ونهبوا ما فيه (ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ): تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق/ إبراهيم الإبياري ــ دار الكتاب المصري ــ القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ص٧٨، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٧٤، عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي: دار القلم ــ دمشق ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ص٢٢٧).

(٢) Allen Mawer : The Vikings .cam. med hist . iii p - ٣٠٦

(٣) عمر عبد المنعم إبراهيم: الفايكنج والإمبراطورية الكارولنجية : رسالة ماجستير غير منشورة ــ كلية الآداب ــ جامعة عين شمس ــ (٢٠٠٩م) ص١٠ .

(٤)أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلس، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٥)أطلقها المؤرخ الروماني بيلني على أرض السودبين باسم سكنديا Scandia ثم عمم على شبه الجزيرة ومصطلح اسكندیناوة يظم فروع النورمان وهي النرويج السويد الدنمارك، فلندا. ينظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ج٢، ص٣٠٨.

(٦)جمعة محمد مصطفى الجندي، علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقية خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، كلية التربية، جامعة عين شمس، الحولية الثالثة والعشرون، ١٤٢٣ه ــ ٢٠٠٢م، ص١٥.

(٧)توفيق المدني أحمد، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط١، مكتبة الاستقامة، تونس، د.ت، ص٢٨.

(٨)ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩، ص٧٨. ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان، ١٩٨٣، ج٢، ص٨٧، ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر١٩٨٥، ج٢، ص٣٧٢.

ويراجع: سالم عبد العزيز و العبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ١٩٦٩، ص٣٤٩. الحجي علي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق، سوريا ٢٠٠٨، ص٢٤١.

ثالثًا: أصل الفايكنج إلى العنصر الجرماني: وهم قوم من البدو الرحل الذين كانوا يعشقون الحرب ويزدادون شغفًا بالصيد ويجوسون خلال الغابات والمستنقعات وهم دائمًا على أهبة الرحيل من مكان إلى مكان وليس لهم دخل سوى ما يمكن أن يحصلوا عليه بطريق الحرب والعنف وجرمانيا الموطن الأصلي للعناصر الجرمانية والتي يرجع إليهم النورمان كما وصفها تاكيتوس: كانت منطقة يكتنفها الغابات وتغطيها المستنقعات انعكست وحشتها وما كان يكتنفها من غموض على طباع سكانها [١]، والموطن الأصلي للجرمان: هو المناطق المحيطة بالبحر البلطي (البلطيق)[٢] لكنهم انتشروا في القرنين الأول والثاني الميلاديين في أواسط أوربا وشرقها، وأصبحوا أقرب الشعوب المتبربرة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية [٣] .

رابعًا: موطن الفايكنج (النورمان): فهو شبه الجزيرة الاسكندنافية؛ حيث البيئة القاسية، والظروف المعيشية الفقيرة، وصراع القوى بين الحكام المتنافسين على السلطة، واليوم تضم اسكندنافية كل من: الدانمارك Denmark، والنرويج Norway، والسويد Sweden، كما تضم فنلندا Finland، كما أن الطبيعة الجغرافية للممالك الاسكندنافية كان لها تأثيرًا كبيرًا على اتجاهات حركة الفايكنج (النورمان) فقد اتجه النرويجيون إلى الغرب، بينما اتجه الدانمركيون صوب الجنوب الغربي، في حين اتجه السويديون ناحية الشرق[٤].

المبحث الثاني: الفايكنج تاريخيًا.

اتخذت شعوب الفايكنج القرصنة مهنة لها وعرفوا بذلك، وقد بدأت هذه العناصر تغير على العالم الأوربي الجنوبي مما جعل بعض الكتاب يقول بأن الفايكنج هم الذين استكشفوا أوربا وليست أوربا هي التي كشفت عن الفايكنج، ولم يختلف الفايكنج عن غيرهم من العناصر البربرية الجرمانية في نظمهم وعاداتهم وأسلوب حياتهم، إلا أن طبيعة بلادهم الجبلية ذات الغابات والأحراش والمستنقعات لم تترك لهم مجالا يعيشون فيه سوى السهول الساحلية، وهكذا دفعت الطبيعة الفايكنج نحو البحر، فبرعوا في بناء السفن الصغيرة المكشوفة التي اتصفت بطولها وقلة عرضها وسارت بالمجداف أو الشراع وجابوا بها شواطئ أوربا من البحر البلطي حتى البحر المتوسط، بل قاموا

(١) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية : دار الكتب الجامعية ــ الإسكندرية ــ ١٩٧٥م ص٦، ٧،٢٥٨. نقلا عن تاكيتوس.

(٢) البحر البلطي، بحر البلطيك، بحر البلطيق: هو بحر في أوروبا الشمالية محاط بالدانمرك والسويد وفنلندة وروسيا وبولندة وألمانيا، ويصب فيه عدد كبير من الأنهار (أينهارد: سيرة شارلمان : ترجمة / عادل زيتون ــ دار حسان ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ص٨٧).

(٣) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية : ص٦.

(٤) عمر إبراهيم : مرجع سابق : ص١٥.

برحلات في المحيط الأطلسي حتى أصبحوا أعظم شعوب البحرية التي عرفتها أوربا في العصور الوسطى، لذلك اتخذت غاراتهم شكلًا بحريًا أقرب إلى القرصنة منه إلى الزحف البري الذي اتصفت به هجمات بقية الشعوب التيتونية [١].

أولًا: مفهوم القرصنة.

القرصنة في اللغة:

القرصان لص البحر، والقرصنة لغة: السطو على سفن البحار[٢].

واصطلاحًا: هي اعتداء مسلح يقوم به طاقم سفينة في أعالي البحار على سفينة أخرى بقصد النهب والسلب[٣].

ثانيًا: نشأة القرصنة البحرية.

مرت نشأة القرصنة بعده مراحل:

المرحلة الأولى: تشير بعض الوثائق إلى أن استخدام اسم القرصنة لأول مرة كان منذ حوالي (١٤٠) سنة قبل الميلاد[٤].

وقد تزايدت أعمال القرصنة البحرية وحدثت غارات متكررة من القراصنة على السفن التجارية اليونانية في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، وأصبحت تدفع فدية مقابل إطلاق سراح بعض التجار اليونانيين، وفي حوالي القرن الثالث قبل الميلاد لجأ بعض حكام المدن الساحلية على البحر الأبيض المتوسط إلى التعاون مع القراصنة اتقاءً لشرهم ولتوفير شيء من الحماية لسفنهم وموانئهم، ولم يكن هناك نية جادة للتخلص من القراصنة، لأنهم كانوا يمدون الأسواق بالعبيد وتجري التعاملات التجارية بما يغتصبونه من البضائع التي توفر لهم الملاذ، ويمكن أن نعتبر تلك الفترات مرحلة أولى من تاريخ القرصنة البحرية[٥].

المرحلة الثانية: مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد ظهرت مرحلة أخرى وهي مرحلة انتشار هجمات القراصنة بشكل واسع، وظهر لهم نمط وأعراف، وملابس تميزهم عن غيرهم، نتيجة لرضا روما عن هذه الأعمال حيث سمع للقراصنة بالانتشار، لأنها تحقق مصالح وأهداف حكومتها في ذلك الوقت وأصبح للقراصنة قوة كبيرة تهدد التجارة في مناطق مختلفة[٦].

---

(١) سعيد عاشور : مرجع سابق: ص ١٧٥.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط: تحقيق المجمع اللغوي ــ تركيا ــ المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ج٢ ص٧٢٦.

(٣) أحمد عطية الله: القاموس السياسي: دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٨م ص٩١٨.

(٤) كرزسيتوف ويلزينسكي: تاريخ القرصنة، الموقع على شبكة الإنترنت: بعنوان http://www.Pitatesinf.com/detaif-phparliele-id

(٥) Souza, Philip De, Ancient Rome and the Pirates (٢٠٠٠). P.١٠٥.

(٦) ويلزينسكي: تاريخ القرصنة، الموقع على شبكة الإنترنت: بعنوان http://www.Pitatesinf.com/detaif-phparliele-id

المرحلة الثالثة: بعد الميلاد.

استمرت أعمال القرصنة بعد الميلاد على نحو قريب من أوضاعها قبله من حيث الانتشار في البحر الأبيض المتوسط رغم استمرار الحملات الرومانية التي تعمل على محاربة القراصنة، وفي هذه الفترة وجد أقدم تعريف للقرصنة البحرية من المؤرخ الروماني (بلوتارش) والذي كتب تعريف القرصنة في العام (١٠٠) ميلادي حيث وصف القراصنة "بأنهم أولئك الذين يهاجمون دون وضع قانوني ليس فقط السفن ولكن أيضًا المدن البحرية"(١).

المرحلة الرابعة:

بدأت هذه المرحلة الرابعة حوالي عام (١٧٣هـ/٧٨٩م) حيث ظهر في شمال أوروبا أشهر القراصنة في هذه الحقبة، وهم ممن يسمون بالفايكنج من شعوب شمال أوروبا دول الدانمارك والسويد والنرويج حاليًا والذين اكتسحوا معظم دول أوربا وأسسوا مدنًا بين عام (١٨٣هـ/٨٠٠م) و (٤٩٣هـ/١١٠٠م)، وقد اشتهروا بالعنف، والقسوة، والنهب، والاغتصاب، وبحلول القرن الحادي عشر أسسوا إمبراطورية في بحر الشمال مكونة من السويد والدانمارك والنرويج(٢).

ثالثًا: تطور مفهوم القرصنة.

تطور مفهوم القرصنة عبر العصور إلى نوعين متمايزين: أولهما القرصنة القائمة على السلب والنهب. والثاني: القرصنة التي تعتبر نوعًا من الحروب البحرية سواء أكانت دفاعية أم هجومية وهدفها ضرب اقتصاديات العدو أو الاستيلاء على بعض المدن الساحلية، أو محاولة إقامة دول لهؤلاء القراصنة، وقد شهدت الحروب الصليبية في المشرق النوعين معًا(٣).

- **الفايكنج (النورمان) أنموذجًا للقرصنة.**

٢ـ الأسباب التي دفعت الفايكنج للخروج من بلادهم.

يمكن تقسيم الأسباب التي دفعت الفايكنج (النورمان) إلى الخروج من بلادهم والقيام بهذه الحركة التوسعية إلى نفسية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية:

---

(١) ويلزينسكي: نفس المرجع. نقلًا عن بلوتارش

(٢) كافين رايلي: العنف والانتقام: ترجمة/ عبد الوهاب محمد وآخرون ـ بحث منشور بمجلة عالم المعرفة ـ مجلس الثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٤٠٥هـ ص١٨٨ـ١٩١، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٦م ص١٧٥ وما بعدها.

(٣) بسام العسلي: سلسلة جهاد شعب الجزائر : دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ج١ ص٧٧.

١ــ الناحية النفسية:

أثبت التاريخ دائمًا أن بعض الشعوب المتأخرة يغلب عليها شعور الحسد والطمع في البلاد المتحضرة القريبة منها، والرغبة في الإغارة عليها لنهب ثروتها أو على الأقل مشاركتها في حضارتها، وهذا الشعور كان أحد العوامل التي حركت القبائل المتبربرة كالفايكنج نحو أوربا والجرمان نحو أراضى الإمبراطورية الرومانية من قبل(١).

٢ــ الناحية الاقتصادية:

فقد اهتز الفايكنج (النورمان) عندما قام الفرنجة بغزو فريزيا (frisia)(٢) نظرًا لما ترتب على هذا الغزو من شل نشاطهم التجاري وبالتالي مضايقتهم اقتصاديًا(٣) وذلك لأن الفايكنج أو النورمان كانوا عملاء تجاريين قدامى للفريزيين قبل أن يقوم الفرنجة بغزو فريزيا. كما أن الفريزيين كانوا يمثلون قوة بحرية، وتجارية عظيمة في شمال أوربا بل كانوا بمثابة حاجز بين الفايكنج والقارة الأوربية فلما تحطمت هذه القوة أصبح الطريق ممهدًا(٤) أمام الفايكنج لغزو أوروبا(٥)، وكان قضاء الفرنجة على قوة الفريزيين الذين مارس الفايكنج معهم بعض التجارة أثره في تعرض تجارة الفايكنج لأضرار جسيمة؛ فأدى هذا بالفايكنج إلى محاولة الحصول على أسواق جديدة وعملاء جدد لاستمرار تجارتهم(٦).

٣ــ الناحية الاجتماعية:

يقال إن أعداد الفايكنج تزايدت في القرن التاسع حتى ضاقت عليهم بلادهم الفقيرة ولم تعد تتسع لهم الأشرطة الساحلية الضيقة الممتدة على شواطئ اسكندیناوه ودانمارك، مما دفعهم إلى الهجرة والإغارة على البلاد القريبة بغية الحصول على ما يسد رمقهم ويكفي حاجتهم، ويقول بعض الباحثين: "هذا وإن كانت لا توجد في الواقع أدلة تاريخية حاسمة تثبت أن ازدياد السكان وتضخمهم كان سببًا أساسيا لهجرة الفايكنج في القرن التاسع "(٧).

٤– ومن الناحية السياسية :

حاول المؤرخ هاسكنز Haskins تفسير غزو الفايكنج لأوربا في ظل مفاهيم العصر وكذلك المفاهيم الحديثة، فذهب إلى القول بأنه حين ظهرت ملكيات مستقلة وحكومات

---

(١) سعيد عاشور : مرجع سابق: ص ١٧٥.

(٢) فريزيا منطقة تقع في غربي أوستفالية بين نهري أيمز والراين والاسم الحديث لمنطقة فريزيا هو نوترلاندس الواقعة في شمال ألمانيا الاتحادية، ونسب إلى منطقة فريزيا القبائل المعروفة باسم الفريزيين الذين ينتمون إلى الجرمان والمعروف أن هذه القبائل كانت قد شكلت خطرًا على الفرنجة وكان رؤساء البلاط الفرنجي قد تصدوا للفريزيين (أينهارد : سيرة شارلمان : ص١١٤).

(٣) سعيد عاشور : تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٧٥

(٤) محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا في العصور الوسطى : دار المعرفة الجامعية ــ الإسكندرية ــ ١٩٩٠م ص٢٩٦.

(٥) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢١٦ .

(٦) Oman : the Dark eges :(London ١٩٦٢ , P . ٤٥ .

(٧) سعيد عاشور : تاريخ أوربا في العصور الوسطى : ص١٧٦.

مركزية اتجهت إلى محاولة جمع الفايكنج على فكرة الولاء لنظم الحكم الجديدة، وربطهم بقوانين وقوالب مستحدثة[١] حين بزغت الملكية في النرويج في القرن التاسع، وحينما ظهرت أيضًا هذه الملكيات في كل من السويد والدانمارك في القرن التاسع[٢].

غير أن طبيعة هذه الشعوب وانطلاقها وحبها للمغامرة لم يترك فرصة للاستجابة لهذه الأمور فاندفع أغلبهم في إغارات متتالية على سواحل أوروبا لإشباع نهمهم للحرب والقرصنة والمغامرة[٣].

ويقول محمد مرسى الشيخ: " والأرجح ما ذهب إليه هاسكنز من أن التغيرات السياسية التي طرأت على المجتمع الفيكنجي كان لها دخل كبير في تلك الهجرة التوسعية الكبرى"[٤].

غير أن المؤرخ فيشر: يرى أن أسباب حركة الشماليين هو حب الغنيمة والاسترشاد بالنجوم في الرحلات الطويلة إلى غير ذلك من المغريات يضاف إلى ذلك ما أظهره الفايكنج من تعصب ديني شديد تجلى في هجومهم على الأديرة واستباحتها ونهب ما حوته الكنائس من تحف ونفائس[٥].

ولا شك أن هذه الأسباب مجتمعة كانت الدافع لخروج الفايكنج من بلادهم متجهين إلى أوربا لتحقيق أهدافهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٣ــ الأدوار التي مرت بها علاقة الفايكنج بأوروبا.

مرت غزوات الفايكنج (النورمان) في أوربا بعدة أدوار يمكن تقسيمها على النحو التالي:

الدور الأول: دور الهجوم.

بدأ هذا الدور في أواخر القرن الثامن أي منذ سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م) عندما أخذ الفايكنج يهددون شواطئ انجلترا واسكتلندا وأيرلندا، وفى ذلك الوقت لم تحل قبضة شارلمان القوية دون تعرض إمبراطوريته لهجمات الفايكنج، ولكن هذه الهجمات لم تأخذ شكلًا خطيرًا إلا بعد وفاة شارلمان، وقد تميزت غارات الفايكنج في دورها الأول بأنها كانت

(١) The Normans in European History , New york ١٩٥٩ , P. ٢٩

(٢) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢٦٠

(٣) Haskins: The Normans in European History: P. ٢٩ -٣٠

(٤) تاريخ أوروبا: ص٢٩٦، ٢٩٧, الممالك الجرمانية: ص٢٦١.

(٥) تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة / محمد مصطفى زيادة ــ السيد الباز العريني ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة السادسة ــ ج١ ص١١٨ وما بعدها، محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢٦٢.

تهدف إلى السلب والنهب والقرصنة، وتتم في فصل الصيف، وتنتهي بالعودة قبل حلول فصل الشتاء كما كانت تضم جماعات صغيرة نسبيًا تعمل غالبًا لحساب أحد الأُمراء[١] .

الدور الثاني: دور الاستقرار.

لم تلبث الحركة التوسعية للفايكنج أن دخلت دور جديد عند منتصف القرن التاسع عندما أخذوا يقضون فصل الشتاء خارج بلادهم في معسكرات حصينة أو في الجزر المنيعة الواقعة قرب شواطئ البلاد التي يغيرون عليها أو عند مصبات أنهارها، وبعد أن كانوا في الدور الأول يأتون على هيئة جماعات صغيرة أصبحوا في هذا الدور يغيرون على بلاد غرب أوروبا في هيئة جموع ضخمة فتطورت حركتهم إلى حركة توسعية استيطانية تتم بجماعات كبيرة أو جيوش تعمل لحساب أمير أو مجموعة من الأمراء حيث كان الفايكنج يحملون معهم نساءهم، وأطفالهم يبتغون الاستقرار بالبلاد التي يغزونها أو بقرب مصبات أنهارها أو في الجزر القريبة من شواطئ تلك البلاد[٢].

وقد استطاع الفايكنج أن يقيموا مستعمرة قصيرة العمر في أيرلندا عام (٨٤٣م) كما قضوا الشتاء لأول مرة في إنجلترا سنة (٨٥١م)، وكذلك أخذوا يستقرون ذلك الوقت في الجزء الغربي من فرنسا الذي عرف فيما بعد باسم نورمنديا، ولكنهم أخذوا يتوغلون تدريجيًا داخل البلاد وكلما هجر الأهالي الأجزاء القريبة إلى الداخل تتبعهم الفايكنج[٣].

الدور الثالث: دور الدفاع.

ويتميز بمقاومة أهل البلاد للفايكنج ونجاحهم في طردهم من أجزاء كثيرة[٤] ويبدو أن قسوة الفايكنج المتزايدة والمذابح البشرية الرهيبة فضلًا عن الإغارة على الكنائس والأديرة، واستباحتها ونهب ثرواتها قد أوجد شعورًا طافحًا ضد هؤلاء الغزاة تبلور في مقاومة عنيفة قادها بعض أمراء القارة والجزر البريطانية؛ فنجحوا منذ أواخر القرن التاسع في وضع حد لجانب كبير من عبث هذه الشعوب المتبربرة وليس هناك شك في أن غارات الفايكنج على أوربا إنما جاءت من أجل الهدم وأنها كادت تؤدى بكل معالم الحضارة في غرب أوربا إلى الهاوية[٥].

---

(١) Oman : The Dark Ages : P . ٤١٥

(٢) محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٩٩.

(٣) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٧٨ .

(٤) فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ج١ ص١٢١.

(٥) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢٦٤.

إن الحضارة الأيرلندية التي أضاءت الأفق الأوروبي منذ قرون لم تستطع أن تعود إلى نورها القديم بسبب ما أنزله النورمان بأيرلندا من التخريب[١].

إضافة إلى ما أنزلوه من تدمير وخراب بإنجلترا والإمبراطورية الكارولنجية (فرنسا) وهولندا كما هاجموا سواحل الأندلس لكي يُنزلوا بها الخراب والدمار الذي اعتادوا عليه لولا يقظة أمرائها .

ثانيًا: الفايكنج وغاراتهم على أوروبا (انجلترا، أيرلندا، فرنسا، الأندلس، صقلية).

لقد كانت حركة القرصنة التي قام بها الفايكنج حركة توسعية كبيرة شملت العديد من دول أوربا، فمخرت قواربهم الصغيرة المحيط الأطلنطي، فاكتشفوا جرينلاند وأميركا الشمالية، وأقاموا مملكة في دبلن بأيرلندة، واستولوا على انجلترا وشمالي فرنسا، وهبطوا إلى فريزيا وأغاروا على أسبانيا، وهاجموا بلاد المغرب الأقصى، ومواني الريفييرا وإيطاليا، ووصلوا إلى البحر الأبيض المتوسط، وبلغوا بحر قزوين والبحر الأسود، وأنشأوا مستعمرتين في نوفجورود وكييف، واتخذ منهم الأباطرة البيزنطيين حرسًا لهم، واتصلوا باللاتينيين واليونانيين والعرب، كما اتخذوا لهم أوطاناً في صقلية وأيسلندة، ويرى البعض أنه من الخطأ اعتبار الفايكنج مجرد قراصنة محترفين، فالواقع أنهم نزعوا إلى ممارسة التجارة، إذ كانت لهم علاقات تجارية مع الفريزيين والسكسون قبل أن يتعرضوا لغزو الفرنجة الأمر الذي كان له أثر سيئ في تجارة الفايكنج مع هؤلاء الأقوام[٢].

ففي انجلترا فقد بدأت غارات الفايكنج عليها منذ أواخر القرن الثامن الميلادي وبالتحديد عام (٧٨٧م) فرست سفنهم قرب دورشستر في هذا العام، ونهبوا أسقفية لندسفرين عام (٧٩٣م) ثم توقفت حملاتهم حتى عام (٨٣٥م) واستطاعوا منذ ذلك الوقت أن يقيموا لهم ملكا وجعلوا دبلن عاصمة لهم، ثم انساحوا في معظم المدن، وجعلوا من انجلترا موطناً لهم، كما أنهم فرضوا إتاوة على بقية البلاد، وحصلوا على العديد من الغنائم، واستمر الفايكنج يهاجمون مدن انجلترا حتى استطاع ألفريد العظيم ملك وسكس[٣](٨٤٩ــــ٨٩٩م) أن يطردهم من معظم الأراضي الانجليزية التي احتلوها لكن بعد عدة حروب مريرة

---

(١) فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ج١ ص ١١٨.

(٢) السيد الباز العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ ص٣٥٢

(٣) ألفريد العظيم هو ملك أنجلو سكسوني حكم مملكة وسكس من سنة ٨٧١ حتى سنة ٨٩٩م. اشتهر بدفاعه عن مملكة الأنجلو ساكسون في مواجهة الفايكنج ليصبح الملك الإنجليزي الوحيد الذي حصل على لقب "العظيم" (يقال أنه كان دنماركيا)، وكان أول الملوك الذي سموا بملوك الأنجلوساكسون. وكان مثقفا ومشجعا للتعليم كما قام بتحسين النظام القضائي والهيكلية العسكرية. توفى يوم ٢٦ أكتوبر ٨٩٩م، ومملكة وسكس تم تأسيسها في فترة العصور الوسطى بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، وهي إحدى الممالك السبعة لإنجلترا الأنجلو سكسونية في القرن الخامس وحتى توحيد مملكة إنجلترا في أوائل القرن العاشر، وكانت الأسرة التي تحكم الدولة أنجلو سكسونية هي أسرة وسكس (موقع الموسوعة الحرة).

وطويلة، وبعد وفاة ألفريد عام (٨٩٩م) أخذ خلفاؤه يغزون أراضي الفايكنج تدريجيًا حتى انتهى الأمر بتوحيد انجلترا كلها تحت حكم ملك وسكس الذي أصبح يستحق لقب ملك انجلترا في التاريخ [١].

أما أيرلندة فكانت الهدف الرئيسي لغارات الفايكنج في السنوات الأولى من القرن التاسع، ففي عام (٨٣٤م) أغاروا على الشطر الأكبر من الجزيرة فدمروا حضارتها، وأقاموا لهم قواعد على السواحل أخذوا يوجهون منها الحملات على انجلترا، ثم أوغلوا في أيرلندة فاستباحوا الأديرة وأخذوا منها العديد من الأموال، ثم بعد ذلك تحولت حملات الفايكنج على أيرلندة إلى نوع من الاستقرار في البلاد التي نهبوها[٢].

أما فرنسا فقد بدأت غارات الفايكنج (النورمان) عليها في حياة شارلمان (٧٧١ـــ٨١٣م) الذي أدى توسعه شمالًا إلى إيجاد حدود مشتركة بينه وبين الفايكنج، ولم تلبث أن ساءت العلاقات بين الطرفين بسبب حماية الفايكنج للسكسون الهاربين من وجه شارلمان، ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع غارات الفايكنج على شواطئ الإمبراطورية الغربية بحيث لم تمر سنة واحدة دون أن يداهموا إحدى القرى أو المراكز السياحية، وفي عهد لويس التقي[٣] خليفة شارلمان استغل الفايكنج الخلافات الداخلية حول تقسيم الإمبراطورية وأنزلوا قواتهم على شاطئ فريزيا عام (٨٣٥م) وفي عام (٨٣٧م) وصلوا عند مصب نهر الراين، وبعد وفاة لويس التقي عام (٨٤٠م) اشتدت حملات الفايكنج على فرنسا فأوغلوا في نهر السين، واستولوا على روان، وتوغلوا في نهر الألب ونهبوا سكسونيا وفريزيا التي أصبحت شواطئها قلاعًا للفايكنج، ثم استولوا على بعض المدن الجنوبية فاستولوا على بوردو كبرى مدن الجنوب ونهبوها عام (٨٤٧م) وظلت بأيديهم عدة سنوات، ولا شك أن سيطرة الفايكنج على هذه المدن كان يعود عليهم بأرباح طائلة وغنائم وفيرة الأمر الذي شجعهم على مواصلة نشاطهم التدميري بأعداد كبيرة، ففي عام (٨٨٥م) حاصروا باريس بنحو ٧٠٠ سفينة وأربعين ألف رجل، وعلى الرغم من هذه الأعداد الضخمة إلا أنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها، وفي عام (٩١١م) عقدت اتفاقية سانت

(١) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة/ علي السيد علي ــ المجلس الأعلى للثقافة ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ص٤٠، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٨٨ــ١٩١.

(٢) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٦١، ٣٦٢، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٩٢.

(٣) لويس الأول ويسمى أيضا لويس الورع أو التقي ملك الفرنجة ورأس الإمبراطورية الكارولنجية بين عامي ٨١٤ ــ٨٤٠م. ملك أكيتانيا من عام ٧٨١، إمبراطور (باسم لويس الأول) وملك الفرنجة بالاشتراك مع والده شارلمان من سنة ٨١٣. صار الحاكم الوحيد للفرنجة إثر وفاة والده عام ٨١٤. كُلف لويس خلال حكمه في أكيتانيا بالدفاع عن حدود الإمبراطورية الشمالية. انتزع برشلونة من المسلمين سنة ٨٠١م وأعاد بسط سلطان توفى عام ٨٤٠م (موقع الموسوعة الحرة).

كلير[١] بين الطرفين تسلم بمقتضاها الفايكنج الإقليم الساحلي الذي نسب إليهم بعد ذلك فعرف باسم نورمنديا[٢].

أما الأندلس (أسبانيا والبرتغال حاليًا) فقد بدأت غارات الفايكنج عليها منذ عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م) في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) حيث ظهروا فجأة أمام مدينة لشبونة في أربع وخمسين مركبًا ومثلها أو أكثر قوارب وانحدروا بعدها إلى أشبيلية، ثم قرطبة، ثم عادوا إلى أشبيلية بعد عدة أحداث ومعارك، وقد ارتكبوا خلال ذلك فظائع وفضائح من القتل والنهب والتخريب، ثم غادروا الأندلس إلى عرض البحر[٣].

وعلى الرغم من المقاومة التي أظهرها أهل الأندلس في صد أولئك الغزاة، إلا أنه يبدو أن غاراتهم استمرت بشكل خطير مما دفع الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى إرسال سفارة إلى ملك الفايكنج، وقد انتدب الأمير عبد الرحمن أحد الرجال البارزين في بلاطه للقيام بسفارة إلى بلاد النورمان، وهو الشاعر يحيى بن حكم الغزال، ويبدو أن ما توصلت إليه هذه السفارة لم تكن إلا اتفاقاً مرحلياً، لأن النورمان عاودوا هجومهم على الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وذلك في سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) وسنة (٢٤٧هـ/٨٦١م)، ولكن لم يستطع النورمان أن يحققوا في هذين الهجومين انتصارًا يذكر، بل على العكس دُحِروا، وردوا على أعقابهم دون أن يتمكنوا من إلحاق أذى كبير بالمسلمين. ويعود السبب في ذلك إلى أن جهود الأمير عبد الرحمن الأوسط كانت قد أينعت في عهد ولده الأمير محمد، فكان للاحتياطات الدفاعية التي اتخذها في تقوية الأسطول والمحارس والرباطات التي أقامها على طول الساحل الغربي للأندلس، أثر كبير في رد الغزاة والتقليل من شأن هجومه[٤].

---

(١) عقدت معاهدة سانت كلير عام ٩١١م بين الملك شارل الثالث ملك الفرنجة الغربيين ورولو، زعيم الفايكنج. وعلى إثرها تأسست دوقية نورماندي تلك الدوقية التي سميت نسبة لسكانها النورمان (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٦٣، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٨٦، ١٨٧.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: ص٨٠.

(٤) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٠، خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: دار الكتاب المتحدة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م ص١٣٢.

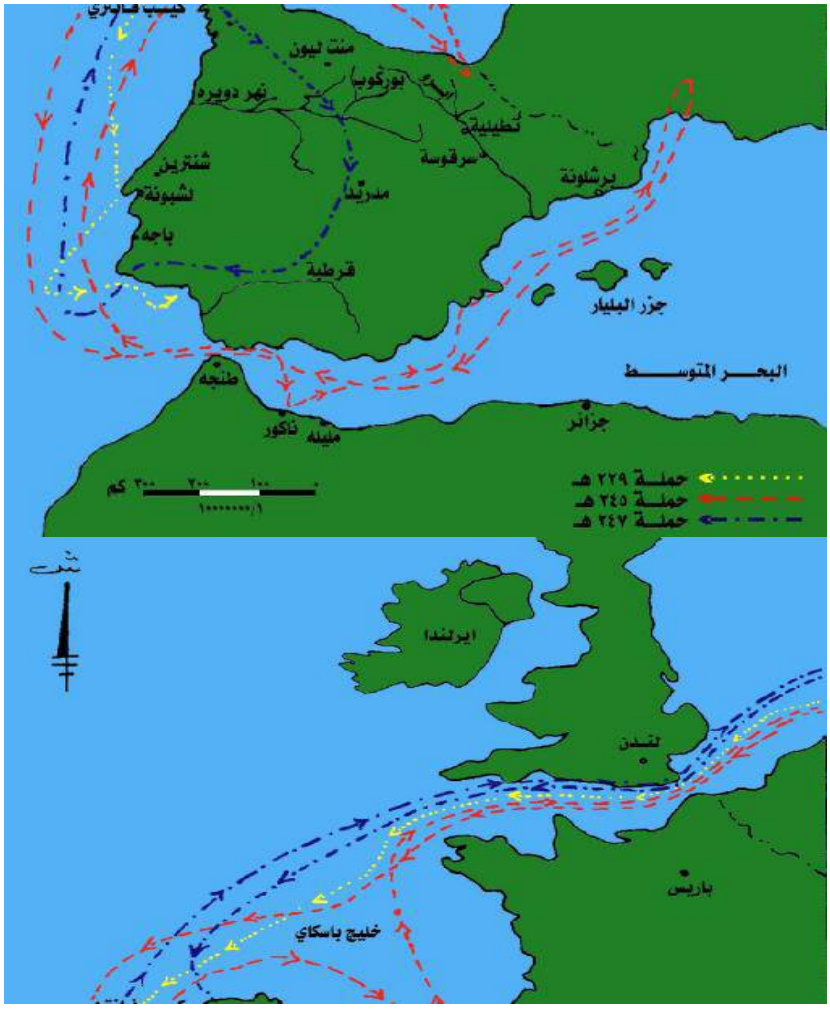

عبد الرحمن الحجي :العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وغرب أوربا ص ١٧١.

وفي عام (٢٥٤هـ/٨٦٨م) وخلال عصر الحكم المستنصر(٣٥٠ــ٣٦٦هـ/٩٦١ــ٩٧٦م)" ظهرت مراكب المجوس (الفايكنج) في البحر الكبير (المحيط الأطلسي) وأفسدوا بسائط أشبونة، وناشبهم الناس القتال، فرجعوا إلى مراكبهم، وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن

رماحس بتعجيل حركة الأسطول، ثم وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم في كل جهة من السواحل"[١].

وفي عامي (٣٦٠هـ/٨٧٣م) و (٣٦١هـ/٨٧٤م) عاد النورمان لغزو سواحل الأندلس الغربية في فلم يكد يمضى على رحيلهم من الأندلس سوى خمس سنوات حتى عاودوا هجومهم مرة أخرى، فأزعج السلطان قائد البحر بالخروج إليهم[٢].

وفي عصر ملوك الطوائف[٣] وبالتحديد عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م):"عاود الفايكنج هجومهم على الأندلس ونزلوا على مدينة بربشتر [٤] فحاصروها أربعين يومًا حتّى دخلوها عنوة، فقتلوا عامّة رجالها وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنّهم اختاروا من أبكار جواري المسلمين وأهل الحسن منهنّ خمسة آلاف جارية وأهدوهنّ إلى صاحب القسطنطينية وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه"[٥].

وبالمقارنة بين غارات الفايكنج (النورمان) على أوربا المسيحية والأندلس الإسلامية نجد أن غاراتها على دول أوربا المسيحية حققت ما تصبو إليه فاستولوا على المدن وأخذوا الكثير من الغنائم بل استقروا في بعض المناطق وأنشأوا فيها حكم ذاتي لهم مثل نورمنديا، وهذا يرجع من وجهة نظري إلى ما كانت تعانيه أوربا في ذلك الوقت من ظلام دامس، ومن صراع وتناحر على السلطة بين أفراد البيت الواحد، الأمر الذي ساعد الفايكنج في نجاح حملاتهم على أوربا المسيحية، أما الأندلس فقد كانت هي البقعة المضيئة في أوربا في ذلك الوقت وتحت حكم الدولة الأموية القوية التي اهتمت بكل شيء من علوم وفنون، إضافة إلى يقظة حكام الأندلس واهتمامهم بالجيش وبالبحرية الإسلامية، ولذلك لم يحقق الفايكنج من حملاتهم عليها سوى بعض الغنائم التي استولوا عليها، لكن في عصر الطوائف عندما انقسمت الأندلس إلى ممالك وطوائف ودب الصراع بين أمرائها نجح الفايكنج في الاستيلاء على بعض المدن وهي مدينة بربشتر،

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: المحقق: خليل شحادة ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج٤ ص١٨٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: ج٣ ص٢٤١.

(٣) في عام (٤٠٠هـ /١٠٠٩م) بدأ ظهور عصر الطوائف في الأَنْدَلُس، الذي دام حتى عام (٤٨٤هـ /١٠٩١م)، وكان ذلك بسبب سقوط الخلافة الأموية التي نخرتها الأطماع والأحقاد والصراعات الداخلية على الحكم، وسعيُ بعض الشخصيات للمجد الشخصي متناسيًا في ذلك مصالح الأمة وضرورة وحدتها لتقف صفًا واحدًا أمام أعدائها وانقسمت الأَنْدَلُس إلى دويلات, واتخذ حكامها أَلقابهم تبعًا لحجم دويلاتهم فأحدهم: ملك أو أمير، أو وال أو قاض، ونظرًا لاختلاف القوى والرياسات، فقد أخذ القوى يبطش بالأضعف، والأضعفُ يدرأ الخطر بالتحالف مع جاره القوي، وأحيانًا يستنجد بأمراء النصارى مقابل ثمن باهظ، وقد عرف هذا العصر باسم عصر ملوك الطوائف أو عصر الفرق (محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس: مكتبة الخانجي، القاهرة ــ الجزء الثاني الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م صفحات متفرقة بتصرف).

(٤) بربْشتر : مدينة في شرقي الأندلس من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان: دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٩٩٥م ج١ ص٣٧٠).

(٥) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك: دار الغرب الإسلامي ــ ١٩٩٢م ج٢ ص٩١٠.

وعلى الرغم من أنهم لم يمكثوا فيها طويلًا، إلا أن ضعف ملوك الطوائف وتناحرهم هو الذي مكنهم من ذلك.

أما صقلية فقد ظل النورمان لمدة ثلاثين عامًا يرسلون حملاتهم عليها، حتى تم لهم الاستيلاء على الجزيرة وانتزاعها من أيدي المسلمين عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م) وأقاموا فيها دولة استمرت حتى عام (٥٩١هـ/١١٩٤م) عندما استولى عليها هنري السادس إمبراطور ألمانيا(١).

المبحث الثالث: الجانب الحضاري للقراصنة الفايكنج (النورمان).

يرى البعض أن الفايكنج لم يكونوا برابرة بمعنى الكلمة، وذلك لأنهم أظهروا مزيجًا عجيبًا من البدائية والنزعة الحضارية، إذ ظلوا محتفظين ببعض تقاليدهم البدائية من جهة، في حين فاقوا كثيرًا من شعوب أوربا المجاورة في بعض نواحي النشاط البشري، وبصفة خاصة الحروب والتجارة والتنظيم الاجتماعي من جهة أخرى(٢).

ونتيجة لهذا الرأي: فإن الفايكنج كانوا أصحاب حضارة على الرغم من بداوتهم.

بينما يرى البعض الآخر: أن الفايكنج على الرغم من أنهم كانوا رحالة عظام أنجزوا مغامرات بارزة في عالم الملاحة، وكانت مدنهم مراكز تجارية عظيمة، وكان فنهم أصيلًا مبدعًا ومؤثرًا، وقد تباهوا بأدبهم الرفيع وثقافتهم المتطورة، إلا أنهم لم يكونوا أصحاب حضارة، ويعلل أصحاب هذا الرأي ذلك: بأن لمسة الإنسانية، والتي هي علامة الحضارة كانت غائبة عنهم تمامًا، وأن الطفل الغربي عندما يذهب إلى المدرسة كان يلقب بإسهاب أن الشرق الأدنى هو مهد الحضارات، وأن أولى الحضارات قد برزت ونهضت في مصر وفيما بين النهرين يغذيها نهر النيل وأحواض نهري دجلة والفرات، ومن هنا انتشرت الحضارة إلى كريت واليونان، ومن ثم إلى روما وأخيرًا إلى برابرة شمالي أوربا(٣).

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمود وآخرين ــ دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ تونس ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١٥ ص٢٥٩. وهنري السادس كان فردًا من أفراد سلالة آل هوهنشتاوفن، وملك ألمانيا (ملك الرومان) بين عامي ١١٦٩ – ١١٩٧، والإمبراطور الرومانيّ المقدس من عام ١١٩١ حتى عام ١١٩٧، وملك صقلية من عام ١١٩٤ إلى حين وفاته في ٢٨ سبتمبر عام ١١٩٧م. كان الابن الثاني للإمبراطور فريدريك الأول بربروسا وزوجته بياتريس الأولى من بورغوندي، كان هنري شاعرًا ماهرًا وراعيًا للشعراء. تزوج في عام ١١٨٦ من كونستانس ملكة صقلية، ابنة ملك النورمان روجر الثاني. احتل صقلية في عام ١١٩٤، هدد هنري باحتلال الإمبراطورية البيزنطية بعد عام ١١٩٤ ونجح في الحصول على فدية، أو الضريبة الألمانية من الإمبراطور ألكسيوس الثالث أنجيلوس مقابل إلغاء الغزو. ضم مملكة قبرص ومملكة أرمينيا الصغرى إلى إمبراطوريته بشكل رسميّ وأجبر تونس وإقليم طرابلس على دفع ضريبة له، خطط لتغيير نظام حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة من نظام انتخابي إلى ملكي، المشهورة باسم (erbreichsplan) ولكنه قوبل برفض قاطع من قبل الأمير الناخب وتنازل عن خطته. تعهد هنري بإطلاق حملات صليبية في عام ١١٩٥، وبدأ بتجهيز الحملات. قُمع تمرد في مملكة صقلية عام ١١٩٧، رست سفن جنود الحملات الصليبية في نفس السنة على شواطئ الأراضي المقدّسة، لكن قبل أن ينضم إليهم، مات هنري بسبب المرض في مدينة مسينة في ٢٨ سبتمبر عام ١١٩٧. أُقحم موته الإمبراطورية في نزاعات العرش الألماني لمدة ١٧ عامًا (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) Haskins: The Normans in European History: P .٣٦. ، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠١.

(٣) مايكل كرايتون: أكلة الموتى عن مخطوطة ابن فضلان: دار الهلال ــ الطبعة الثانية١٩٩٩م ص١٢ــ١٤.

وفي رأيي: أنه يمكن التوفيق بين الرأيين، ففي البداية وقبل اتصال الفايكنج بأوربا، فإنهم لم يكونوا أصحاب حضارة، فلم تعرف عنهم أوربا سوى أنهم مجموعات متناثرة ومنغلقة من قراصنة البحار أتوا من اسكندنافيا بغرض التجارة أو القرصنة أو كلاهما معًا.

أما بعد اتصالهم بأوربا، فقد تغيرت بعض صفاتهم وتحولوا من قراصنة كان كل هدفهم الإغارة على المدن بقصد السلب والنهب إلى الاستيلاء عليها بقصد الاستقرار وإقامة حكم ذاتي لهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح لهم دولًا يحكمونها كنورمنديا وصقلية، وبالتالي راحوا يتعرفون على الحضارات التي كانت قائمة في هذه الدول قبل قدومهم فتهذبت طبائعهم وسلوكياتهم، وأصبحت لهم حضارة خاصة بهم راحوا يعملون على ازدهارها ونشرها. وبالتالي فإن حضارتهم كانت مزيجًا من الحضارات الأخرى الإسلامية والأوربية، إضافة إلى احتفاظهم ببعض سماتهم الأولى كالحروب والتجارة والتنظيم الاجتماعي.

وفي النهاية يمكن القول: بأن الفايكنج أصبحوا أصحاب حضارة مستحدثة أثرت وتأثرت بغيرها من الحضارات الأخرى لاسيما الحضارة الأوربية المسيحية، والحضارة الإسلامية، وأصبح هناك تواصل حضاري مع هذه الحضارات.

١ــ التواصل الحضاري للفايكنج مع أوربا المسيحية.

ــ بين الوثنية والمسيحية.

لم يعرف الفايكنج التوحيد في معتقداتهم بل كانوا يعبدون آلهة متعددة وكان من ضمن آلهة الفايكنج: (أودن) وهو إله الحرب، أما (ثور) إله الرعد وهو كبير الآلهة ، و(بالدر) إله الضوء، و(فراي) إله الخصب، وغيرهم الكثير، ويعتقدون أن الآلهة تقوم بمحاربة العمالقة ونهاية الكون ستكون بمعركة كبيرة. كما اعتقدوا على عكس الاعتقادات الأخرى في العالم أن الشمس فتاة والقمر فتى ، وأن ذئبًا عملاقًا يركض خلفهم كل يوم وهم يركبون على عربتهم التي تجرها الخيول، وكل شهر الذئب يأكل قطعة من القمر ويفلت بفعلته إلا أنه يتعافى، وقد ظل الفايكنج يدينون بهذه المعتقدات الوثنية الخرافية حتى اختلطوا بأوروبا واعتنقوا المسيحية، ويرى البعض أن أول معرفة الفايكنج بالمسيحية جاءت عن طريق علاقاتهم التجارية مع الفريزيين، وقد أخذت البعثات التبشيرية تتردد على اسكندیناوة والدانمرك منذ أوائل القرن الثامن، وبعد ذلك عمل لويس التقي على نشر

المسيحية بين الفايكنج بالطرق السلمية، فأغرى هارولد ملك الفايكنج على اعتناق المسيحية حتى تم تعميده مع عدد كبير من أتباعه عام (٨٢٦م) [١].

وفي عام (٩١١م) عقد ملك فرنسا شارل البسيط معاهدة سانت كلير مع زعيم الفايكنج، حيث أعطاهم منطقة في شمال البلاد، واشترط عليهم أن يعتنقوا المسيحية، ويوقفوا غاراتهم على بقية أراضيه، بل ويساعدوه في صد غارات الآخرين. وهذا ما حدث بالفعل، وسميت تلك المنطقة بالنورماندي، وصارت دوقية عظيمة الشأن في فرنسا[٢].

أخذت بعد ذلك المسيحية تنتشر تدريجيًا على حساب الوثنية بين الفايكنج، ليس في بلادهم الأصلية فحسب، بل في المواطن الجديدة التي هاجروا إليها واستقروا فيها سواء في غرب أوربا أو شرقها، وليس هناك من شك في أن انتشار المسيحية بين هذه الشعوب ترك أثرًا واضحًا في مستقبل أوربا وتاريخها[٣].

بعد أن تحول الفايكنج إلى المسيحية كان ذلك أحد أهم الأسباب لنهاية عصرهم، حيث أدانت الكنيسة حروب الفايكنج المتعددة التي كان من ضحاياها مسيحيون آخرون مما دفعهتم تلك الأسباب الدينية للتوقف عن حروبهم الدموية ، بل إنهم صاروا حماة لهذا الدين، واعتبروا أنفسهم أتباعًا للكنيسة، وشغفوا ببناء الكنائس والأديرة، فلم تمض مائة عام على تملكهم نورمنديا حتى غدوا حماة أقوياء للمسيحية، فراحوا يدافعون عنها ويُسيرون الحملات باسمها، فقد شاركوا في الحملة الصليبية الأولى[٤]، ثم قاموا بحملاتهم الصليبية على شمال إفريقيا فيما بعد[٥].

تأثير الفايكنج في أوربا.

ترك الفايكنج أثرًا حضاريًا واضحًا في كل بلد استقروا فيه وبخاصة أيرلندة وانجلترا وملحقاتهم الطبيعية، وإذا كانت العناصر الأولية لحضارة الفايكنج قد أخذت تتلاشى تدريجيًا من البلاد التي نزحوا إليها واستقروا فيها، فان هذه العناصر قدر لها البقاء في أقضى الغرب أي في أيسلاند وجرينلاند حيث ازدهرت حضارة الفايكنج وأصبح تراثهم مصدرًا لتطور مبتكر يختلف عن أي تطور حضاري آخر في القارة الأوربية، وقد بلغ التقدم الحضاري في جرينلاند بعد استقرار الفايكنج فيها أن أديرتها في جرينلاند بعد

(١) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٢.

(٢) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٩.

(٣) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٢.

(٤) ستيفان رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: ترجمة/ السيد الباز العريني ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ج١ ص٧، ٢٢٠.

(٥) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٦٤، ممدوح حسين: الحملات الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري: دار عمار ــ عمان ــ الأردن ــ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م صفحات متفرقة.

استقرار الشماليين فيها أن أديرتها في القرن الثاني عشر كانت تستخدم أنابيب المياه الدافئة في التدفئة داخل الأديرة، في حين استمدت هذه الأنابيب مياهها من ينبوع دافئ طبيعي هذا فضلًا عن النشاط التجاري الواسع الذي قام به أهالي جرينلاند وأيلاند في الميدان الاقتصادي، إذ أخذوا يصدرون الأسماك والفراء والزيت إلى البلاد القريبة(١).

وفي ميدان اللغة فقد أثرت اللغة النوردية القديمة على اللغة الإنجليزية حيث كان التأثير اللغوي طويل الأجل لمستوطنات الفايكنج في إنجلترا تأثيرًا ثلاثيًا: حيث أصبحت أكثر من ألف كلمة نوردية قديمة في النهاية جزءًا من اللغة الإنجليزية الرسمية؛ وتمتلك أماكن عديدة في شرق إنجلترا وشمالها الشرقي أسماء دانماركية، والعديد من الأسماء الشخصية الإنجليزية لها أصول اسكندنافية(٢).

وفى ميدان الأدب: فإن المجموعة الضخمة من أساطير الساجا saga وأشعار الأدا تعتبر خير ما يدل على التقدم الأدبي وبخاصة في أيلاند أما الساجات فهي أساطير نثرية تمتاز بطابعها الواقعي واتزانها واستقامة نظرتها إلى الحياة والطبيعة وإذا كانت هذه الأشعار تنطوي على شيء من الخشونة والبربرية، إلا أنها تعبر تعبيرًا ساميًا عن روح البطولة، كما تحرص على إبراز الغرض الأسمى الذي يسعى إليه البطل، وهكذا يرجع الفضل إلى الفايكنج عندما أنتجت جزر أوربا الشمالية المقفرة حضارة طيبة وأدبًا رفيعًا من أعظم ما أنتجه أوربا في العصور الوسطى(٣).

وفي النهاية يمكن القول بأن حضارة الفايكنج أثرت وتأثرت بالحضارة الأوربية، فقد هذبت الحضارة الأوربية في شعوب الفايكنج، فغاراتهم على أوربا لم تلبث أن تحولت من لصوصية إلى فتوحات، ومن فتوحات إلى استقرار، فالفايكنج الذين خربوا الأديرة في أيرلندا هم الذين أسسوا المدن التجارية فيها، والفايكنج الذين هدموا مدينة أرماخ الأيرلندية، هم الذين أشأوا مدن وترفورد ودبلن ووكسفورد عوضًا عنها، أما في انجلترا وفرنسا، فقد أثر الغالبون والمغلوبون في بعضهم البعض تأثيرًا باقيًا، لا بسبب اختلافهم وتباينهم في الصفات بل بسبب تشابههم فيها، ولا سيما النجابة والمرونة والوعي، فالفايكنج في انجلترا صاروا إنجليزا، وفي نورمنديا صاروا فرنسيين وتقبل هؤلاء

(١) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٣.
(٢) موقع الموسوعة الحرة: تحت عنوان عصر الفايكنج.
(٣) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٣.

وأولئك المسيحية والثقافة اللاتينية التي أضحت جزء لا يتجزء من المسيحية، ولم ينته القرن العاشر حتى صار الفايكنج جميعًا في دائرة الحضارة الرومانية اللاتينية[١].

٢ــ التواصل النورماني مع المسلمين.

ظهر الإسلام في القرن السابع كقوة حضارية وروحية وإمبراطورية عازلة بين أوروبا وأفريقيا، وما تلى ذلك من أحداث امتدت فصولها عبر قرون بدأت بفتح الشام وباقتطاع جنوب المتوسط عن الإمبراطورية الرومانية والاستيلاء على الأندلس وفتح القسطنطينية، جعلت غاية الإسلام من هذا التواصل البحث عن نقاط الالتقاء عن طريق المنطق والعقل، والفهم للوصول إلى أرضية مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة. أما الغاية الأخرى فهي المثاقفة والتلاقح الفكري الذي يسمح بالتأثير والتأثر بين الحضارات[٢].

لقد أثرت الحضارة الإسلامية في الفايكنج كما أثرت وتأثرت بغيرها من الأمم الأخرى، وقد كان التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج عند طريق عدة وسائل منها:

أ ــ السفارات.

لم يكن الإسلام غريبًا عن أوروبا منذ بدء الفتوحات الإسلامية ونشأة إمارة الأندلس في جنوب أوروبا في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال اليوم). لكن الدلائل على التواصل والاتصال العربي الإسلامي بشعوب الفايكنج شمال أوروبا له شواهد قوية.

ومن الوثائق التاريخية الشيقة والنادرة عن علاقة العالم الإسلامي بالفايكنج، ما سجله الرحالة الإسلامي الكبير (أحمد بن فضلان العمري) في رحلته الشهيرة إلى بلاد الفايكنج، حيث ذهب إلى ملك الفايكنج بسفارة خاصة عام (٣١٠هـ/٩٢١م) من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ــ٣٢٠هـ/٩٠٨ــ٩٣٤م) استجابة لوفد من طرف ملك الفايكنج وصل بغداد ملتمسًا إرسال سفارة إلى مملكته لشرح مبادئ الإسلام، وأموال لبناء مسجد وقلعة حصينة يحتمي بها من أعدائه [٣].

وقد حظيت هذه الرحلة باعتناء واسع من علماء التاريخ في العالم، وترجمت لعشرات اللغات، وصارت واحدة من أهم المراجع في تاريخ الفايكنج ومعرفة عاداتهم وسلوكياتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية والدينية، وقد بدأ الفايكنج في التفكير بتكرار تجربة إنجلترا الناجحة في العالم الإسلامي، وذلك من جهتين مختلفتين: من الشرق بالهجوم على ثغور الدولة العباسية، ومن الغرب بالهجوم على سواحل الدولة الأموية في الأندلس، وقد

(١) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٢٠، ١٢١، ١٢٧.

(٢) مريم أيت احمد: مستويات الحوار الحضاري: نقلا عن: مجلة حراء، العدد: ٣٢، لسنة ٢٠١٢م ص ٣٥.

(٣) ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس (ت بعد ٣١٠هـ): رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة: دار السويدي ــ أبو ظبي الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م ص١٧، ٣٩.

تباينت الاستفادة السياسية والإستراتيجية بين الدولة العباسية والأندلس تباينًا كبيرًا يكشف الوعي الحضاري الذي كان عليه مسلمو الأندلس(١).

وصف ابن فضلان أجسام الفايكنج وصفاً تفصيليًا, بأن لهم أجساد طويلة مثالية وصفها كأشجار النخيل، كما وصف نسائهم بأنهن يرتدين مربعات من الحديد أو الذهب أو الفضة فوق صدورهن, وتشير قيمة المربع إلى ثروة الزوج كما وصف طقوس الجنازة, بأن الميت يستمر لعدة أيام, ويتكون من طقوس مختلفة, حيث يتم إعداد الرجل المهم الميت من أجل إحراقه, جنبًا إلى جنب مع بعض العبيد والفتيات اللاتي تطوعن للموت مع سيدهن(٢).

ويلاحظ أن ابن فضلان اختار وصف العادات والسلوكيات الغريبة التي تختلف عن الممارسات والقيم الإسلامية، ومن ذلك (النظافة والعادات الصحية، والنكاح), فعلى النقيض من جمالهم الجسدي, فقد وصفهم بأنهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطّعام، بل هم كالحمير الضّالة ينكح الواحد منهم جاريته ورفيقه ينظر إليه، وربّما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض، وربّما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه، كما أنهم يستعملون وعاء واحد من الماء في اليوم يكاد لا يخلو من كل تلك القذارة, حيث تملئ الخادمة كل يوم قصعة لسيدها فيغتسل، ثم يبصق فيه أيضًا أو ينظف أنفه, ثم بعد أن ينتهي تقوم الخادمة بتمرير نفس الحوض بنفس الماء لباقي أفراد العائلة دون تغيير الماء (٣).

يعتبر هذا الوصف مشيناً ومقززًا بالنسبة لمسلم مثل (ابن فضلان) ومن الممكن أن دينه قد حثه على عدم استخدام مياه راكدة أو غير نظيفة لمجرد الوضوء.

كما وصف (ابن فضلان) طبيعة ملك الفايكنج بأن له ٤٠٠ رجل في قصره, يجلسون حول عرشه المرصع بالأحجار الكريمة, وهم من أشجع الرجال, الذين يموتون مع الملك ويقتلون من أجله, ولكل منهم جارية من الرقيق تخدمهم وتعمل على راحتهم(٤).

وفي الحقيقة كان (ابن فضلان) رجلًا مميزًا فضله الخليفة بسبب مؤهلاته الدينية والدراسية والأدبية مما جعله مرشحًا أساسيًا لقيادة حملة سياسية ودينية عظيمة كهذه إلى

(١) شريف عبد العزيز: هجوم الفايكنج على العالم الإسلامي: مقال بموقع ملتقى الخطباء.
(٢) رحلة ابن فضلان: ص١٠١، ١٠٢.
(٣) رحلة ابن فضلان: ص١٠٢، ١٠٣.
(٤) رحلة ابن فضلان: ص١١٠، ١١١.

بلاد الفايكنج, مما جعله أفضل من وصفهم وشعوبهم قديمًا، ولاشك أن ابن فضلان قام برسالة الخليفة على أكمل وجه فعرفهم بالإسلام وحضارته فكانت هذه السفارة أول تواصل حضاري دبلوماسي بين المسلمين والفايكنج.

يتسأل بعض الباحثين ويقول: هل كان هناك اتصالات بين المسلمين والبلغار قبل رحلة ابن فضلان عام (٣١٠هـ/٩٢١م)؟. ثم يجيب قائلًا: لابد من القول: إن الدين الإسلامي دين لجميع الناس، وإنه وصل إلى بقاع العالم من خلال الدعاة والتجار والجيوش والسفارات، وغير ذلك، وإن انتشار الإسلام إلى بلاد البلغار لا يشذ عن تلك القواعد، إلا أنه من المؤكد أنهم عرفوا الإسلام واعتنقوه قبل رحلة ابن فضلان، ولكن بفترة تبدو قصيرة، لأن الرحلة جاءت استجابة وردًا لملك الصقالبة (البلغار) إلى الخليفة العباسي المقتدر بإرسال بعثة لتفقيههم بالدين الإسلامي، وهذا يعني أنهم حديثو عهد بالإسلام، وأن إيمانهم كان سطحيًا، لأن معرفتهم به ربما كانت على يد بعض التجار وليس دعاة أو فقهاء[١].

وأتفق مع الباحث في أنهم كانوا حديثو عهد بالإسلام، ولذلك طلبوا من خليفة المسلمين أعلى سلطة دينية وسياسية أن يرسل لهم من يفقههم في الدين، كما طلبوا منه بعض الأموال لبناء مسجد وقلعة حصينة يحتمون بها من أعدائهم، وهذا يعني أنهم أصبحوا يدينون بالولاء للخليفة وعليه حمايتهم لكونهم أصبحوا مسلمين.

إذن كانت سفارة ابن فضلان وسيلة من وسائل التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج.

ومن السفارات الأخرى إلى بلاد الفايكنج سفارة يحيى الغزال والتي أرسلها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ـــ٢٣٨هـ/٨٢٢ـــ٨٥٢م) إلى ملك الفايكنج بعد هجومهم على سواحل الأندلس عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م)، فبعد أن هاجم أسطول الفايكنج شواطئ الأندلس وعاث فسادًا في بعض المدن الأندلسية تصدى له الجيش الأندلسي، وقُتِل قائد الفايكنج وأُحرِق عدد كبير من سفنهم وهرب باقي الفايكنج عائدين إلى بلادهم بعد هزيمتهم النكراء، وبعد الهزيمة سعى ملك الفايكنج هوريك خلال المدة(٨٢٧ـ٨٥٤م) إلى الصلح وعقد الهدنة مع الأندلس, فأرسل سفارة إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الأوسط لعقد معاهدة صلح بينهم فوافق الأمير عبد الرحمن وقام بإرسال يحيى الغزال سفيرًا إلى بلاد الفايكنج بصحبة أحد وجهاء الأندلس وهو يحيى بن حبيب، فخرجا معًا إلى البحر المحيط في مركب خاص بهما مع مركب رسل الفايكنج، وقد وصف الغزال تلك الرحلة وما لقيه السفيران المسلمان من أهوال البحر وشدته، وكيف أنهما أوشكا على الهلاك, لكن في النهاية جازا تلك الشدائد

(١) طه خضر عبيد: الحضارة العربية الإسلامية: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ص٢٥٤.

سالمين ووصلا إلى بلاد المجوس (الدانمارك) حيث كان مقر ملك الفايكنج بها، وتعتبر سفارة يحيى الغزال هي الأولى من نوعها من جانب المسلمين في الأندلس إلى الدانمارك واسكندنافيا، التي يصفها بأنها بلاد المجوس وهي (جزيرة عظيمة في البحر المحيط)، وقبل دخوله على ملك الفايكنج اشترط الغزال عليه ألا يسجد له، فأجابهما إلى ذلك, وأراد الملك أن يحرج الغزال فأمر بالباب الذي يفضي إليه، فضيق حتى لا يدخل عليه أحد إلا راكعًا، فلما وصل إليه الغزال جلس إلى الأرض وقدم رجليه وزحف على إليته زحفا، فلما جاز الباب استوى واقفًا والملك قد أعد له وأحفل في السلاح والزينة الكاملة، فما هاله ذلك ولا ذعره، ولقي السفير المسلم من ملك الفايكنج كل ترحاب وعطف، وأفرد لإقامته وزملائه منزلًا حسنًا، وقدم إليه الغزال كتاب أمير الأندلس عبد الرحمن وهديته من الثياب والآنية، ولقي الغزال في بلاط الفايكنج كثيرًا من الإعجاب، واستقبلته (نود) ملكة الفايكنج, وقد أعجبت برجاحة عقل الغزال وفطنته, وله فيها شعر غزل في جمالها، عاد الغزال إلى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهرًا [(١)].

وتعتبر سفارة الغزال هي الأولى من نوعها التي تصل إلى الدول الاسكندنافية، وإن كانت قد سبقت هذه السفارة رحلة أحمد بن فضلان الذي مر بتلك البلاد أثناء سفارته إلى بلاد الصقالبة, لكن ابن فضلان أسهب كثيرًا في وصف تلك البلاد ووصف جغرافيتها وتحدث عن عادات سكانها وتقاليدها, لكن اهتمام الغزال كان بالجانب السياسي وتأدية سفارته فلم يشغل نفسه بأي جانب آخر، وبهذه السفارة نجح الأمير عبد الرحمن الأوسط بالأسلوب الدبلوماسي تجنيب بلاده هجمات أولئك القراصنة طيلة ما تبقى من حكمه، كما أنها تمثل أول تواصلًا حضاريًا بين المسلمين في الأندلس والفايكنج.

المبحث الرابع: التجارة بين بلاد الإسلام والفايكنج

تعد التجارة من وسائل التواصل الحضاري بين الأمم في المقام الأول، ولأنها في هذه الفترة قد انتعشت وازدهرت بين الدولة العربية الإسلامية والدول المجاورة لها، ولازدهار النشاطات الاقتصادية الأخرى الزراعية والصناعية، وتأمين طرق التجارة الدولية، ومن الخطأ اعتبار الفايكنج مجرد قرصان محترفين، فالواقع أنهم نزعوا أيضًا إلى ممارسة التجارة، إذ كانت لهم علاقات تجارية مع الفريزيين والسكسون[(٢)].

(١) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب: تحقيق/ الأستاذ إبراهيم الإبياري وآخرون ــ دار العلم للجميع ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ص١٣٩ــ١٤٦، سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس: الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة ــ المملكة العربية السعودية ــ الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ج١ ص٢٤٣.

(٢) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٥٢.

ولعل التجارة الكبيرة مثل الفراء والعسل والجلود والعاج والأسماك وغيرها , كما كانت الفضة في ذلك الوقت ثمينة ومكلفة , كما حرص العرب المسلمين على الحصول على البضائع الاسكندنافية من الفايكنج مثل القبعات والمعاطف المصنوعة من فرو الثعالب، كما أن عالِم الآثار لا يجد صعوبةً في تمييز الأشياء الغربية الموجودة في مقابر الفايكنج مثل: عُملة نقدٍ من بغداد مثلاً، وبالمقابل فإن تجار الفايكنج كانوا يتقايضون المسكوكات النقدية والمنسوجات والفواكه المجففة مثل التمور، وحقيقةً فإن الفايكنج استعملوا عُملات النقد من أوروبا الغربيّة والعالم العربي، كما أن هناك آثار إسلامية أخرى كالقناديل الإسلامية والكاسات بنقوش عربية، وعمومًا تُعَدُّ العملات الإسلامية (دراهم الفضة) هي أول ما ظهر من العناصر في بلاد الفايكنج نحو نهاية القرن التاسع، فجلب تجار الفايكنج الفضة العباسية (نسبة إلى الدولة العباسية) بكميات كبيرة إلى الدول الاسكندنافية, وقد تم العثور على آلاف القطع منها في مناطق بحر البلطيق وروسيا(١).

إن هذا الكم الهائل الذي وجد في قبور الفايكنج له مدلولات ثلاثة:

١ــ حجم التجارة والعلاقات الوثيقة بين العالم الإسلامي وبين الفايكنج.

٢ــ كما أن هذا الحجم الهائل للتجارة المتبادلة بين الفايكنج والعرب، مع الصلات المستفيضة مع الحضارة الإسلامية لا بد من انعكاسه لغويًّا في التأثير العربي في اللغة النرويجيّة والاسكندنافية (وهم أصل مهم من أصول اللغة الإنجليزية القديمة) فقد دخلت الكلمات العربية إلى الإنجليزية عَبْرَ النرويجية القديمة أولاً، وعبر الوسط الفرنسيّ النورمانديّ ثانيًا، والنورمانديون أصلاً هم بقايا الفايكنج الذين غزوا شمال فرنسا واستوطنوها، وبقايا الفايكنج هؤلاء صاروا الفرنسيين النورمان الذين احتلوا من بعد إنجلترا واحتلوا صقلية العربية وشاركوا في قسم من الحروب الصليبيّة؛ واحتلوا الساحل المتوسط العربي كذلك، ومن خلالهم دخلت الكلمات العربية إلى اللاتينية ثم الفرنسية، ثم عبر الوسط الفرنسي دخلت الإنجليزية، لذا فالفرنسيون النورمان كانوا وسيطًا لعبور الكلمات العربيّة مرتين(٢).

وفي النهاية يمكن القول: أن السفارات والتجارة كانتا من وسائل التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج، وفي رأيي أنها لم تقتصر على ذلك خلال هذه الفترة القصيرة، بل

(١) مجهول: عندما التقى المسلمون بالفايكنج: مقال منشور بموقع عالم المعرفة . https://knowledge-world.blogspot.com/٢٠١٧/٠١/vikings-and-islamic-civilization.html

(٢) مهند الفلوجي: الفايكنغ والإسلام: تاريخ منسيّ يوثقه معجم الفردوس: مقال منشور بموقع فكر بتاريخ ٢٠١٥/٦/٥م https://www.fikrmag.com/article_details.php?article_id=٦٩

امتد هذا التواصل على أيدي العلماء والفقهاء الذين أقاموا هناك، ومن أسلم من أهل البلاد، إضافة إلى التجار المسلمين أيضًا الذين كانوا يترددون بتجارتهم على تلك البلاد.

المبحث الخامس: سقوط صقلية في أيدي النورمان

هاجم النورمان صقلية في نهاية حُكْم الكَلْبِيِّين بعد صِراعات عديدة أدت بالجزيرة إلى انقسامات داخلية[١]، أرسل محمد بن إبراهيم بن الثمنة أحد المُتَصارِعِيْن على سِيادة الجزيرة طلبًا إلى روبرت جسكارد، زعيم النورمان المُتَمَلِّك لجنوب إيطاليا، فأرسل روبرت أخاه روجر (روجار) الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، فما كان من أهل صقلية إلا أنهم استنجدوا بالمُعِزِّ ابن باديس صاحب إفريقية؛ لمحاربة قوات روجر، فأَمَدَّهم بأُسطول كبير غرق بعد تعرضه لرياح قوية ، وكان ذلك من أسباب تَضَعْضُع قُوَّة المُعِزِّ ابن باديس، وتَسَرُّب الوَهَن إليه، بعد ذلك تمكن الهِلالِيّون الذين أرسلهم المُسْتَنْصِر العُبَيْدِي أن يَتَمَلَّكوا البلاد في شمال إفريقية من يديه، وكان ذلك عُقوبة له على خَلْع طاعة بني عُبَيْد، وإقامة الدَّعْوَة لبني العَبَّاس[٢].

ثم أرسل ابنه تَمِيْم[٣] بعد توليه للحُكْم، أُسْطولًا إلى صقلية، وكانت القيادة لابنيه: علي، وأيوب، فحدثت بينهما وبين النورمان حرب عند مكان يُدْعى مسلمري، وهُزِما هزيمة كبيرة، وساءت أحوال المسلمين في صقلية بعد هزيمة ابْنَي تَمِيْم، ولم يوجد من يوحدهم صفًا واحدًا، ويقف بها في وجه نصارى النورمان.

في ذلك الوقت كان النورمان فيه قد وصلتهم مَعُونة بَحْرِيّة من بيشة (بيزا)؛ استعدادًا للحرب الكبرى، فعادوا مرة أخرى إلى غَزْو الجزيرة سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وسقطت مُدُنها واحدة بعد أخرى، إلى أن سقطت الجزيرة كاملاً بعد ثلاثين سنة من القتال.

واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ سيطرة نصارى الرومان على جزيرة صقلية، فمنهم من قال أن الجزيرة سقطت ٤٨٣هـ [٤] أو سنة ٤٨٤هـ [٥] ويقصد بذلك سقوطل كامل الجزيرة، ومنهم من ذكر أن سيطرة النصارى على الجزيرة كان في سنة ٤٦٤هـ[٦] قاصدًا سقوط المدن، والحصون الكبرى فيها.

---

(١) محمود سعيد عمران، أطلس تاريخ الإسلام (ص٢٩٤)، ومعالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (ص٢٢٩ – ٢٨٥)، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (ص٢٨٤ – ٢٨٩).

(٢) محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم (ص١٠٤).

(٣)كان حسَن السيرة، محبًا للعلماء، مقَصدًا للشعراء، كامل الشجاعة، وافر الهيبة. انظر: العبر (٣٨١/٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٤،٤٣/٣٥).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٨). وقد نصَّ في ذلك الموضع على أن النصارى استولوا على سائر جزيرة صقلية في العام المذكور.

(٥) الزركلي، الأعلام (٨٨/٢).

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان (٢١٥/٣).

محاولات استيعادة جزيرة صقلية:

في أثناء سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة أرسل أبو فارس عبد العزيز[١] صاحب تونس، وإفريقية، وتِلْمِسان، أُسْطولًا فيه مائتا فارس، وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية، والمُطوعة؛ للاسترداد جزيرة صقلية من أيدي نصارى النورمان، فنازلوا مدينة مازِر، حتى أخذوها عَنْوَة، وساروا إلى مالطة، وحَصَروها، حتى لم يَبْق إلا فتحها [٢]، مع ذلك لم يتغير شيء من أحوال جزيرة صقلية وأحكم النصارى النورمان السيطرة عليها فبقيت في أيدهم.

المبحث السادس: تأثر النورمان بالحضارة الإسلامية في صقلية.

كانت جزيرة صقلية في عهد النورمانيين مستفيدة أكبر الاستفادة من الحضارة العربية بمختلف تنوعاتها، فكيف كانت حضارة العرب في صقلية النورمانية؟

تعدّ الحضارة العربية التي قامت في جزيرة صقلية حلقةً بالغة الأهمية في تاريخ الحضارات التي شهدتها هذه الجزيرة، مثل الحضارة الفينيقية والإغريقية والرومانية، ولا تأتي هذه الأهمية من أن هذه الحضارة استمرت قائمة ومزدهرة في صقلية بعد زوال الحكم العربي منها على يد النورمان فحسب وإنما لأنها كانت أيضًا عاملًا مهمًا أسهم في النهضة الأوربية الحديثة، وكانت سياسة التسامح من العوامل الأساسية التي مكنت المسلمين في صقلية من إقامة هذه الحضارة التي مارسوها في حكم شعوب ذات أعراق وثقافات وديانات مختلفة، حيث سمح العرب لها بممارسة حريتها الدينية وعاداتها وقوانينها الخاصة بها، ويقول أحد رؤساء دير سانت كاترين في العاصمة الصقلية بالرمو:"إن رجال الدين المسيحيين كانوا أيام العرب أحرارًا في ممارسة واجباتهم الدينية ولم تُمس كنائسهم بسوء"[٣].

إن الرقي والحضارة التي وصلت إليه صقلية كانت أكبر ما أصاب النورمان من ذهول حتى أن الفرق بينها وبين الدول التابعة لإمبراطورية بيزانطة شاسعًا جدا، فقاموا ببناء المباني العظيمة والقصور الفخمة والقلاع والحصون العريقة، وأصلحوا من شأن وسائل

(١)هو أبو فارس، عبد العزيز بن أحمد، الهنتاتي، الحفْصي، ملك المغرب، وصاحب تونس، وكان يُلَقَّب بعزوز، قال المقريزي: كان خير ملوك زمانه صيانة، وديانة، وجودا، وإفضالًا، وعزمًا، وحزمًا، وحُسْن سياسة، وجميل طريقة، وأطال ترجمته جدًا في عُقوده، وختمها بقوله: ومناقبه كثيرة، وفضائله شهيرة، ولقد فُجع الإسلام وأهله بموته، والله يرحمه، ويتجاوز عنه. توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة عن ست وسبعين سنة، بعد أن خُطب له بفاس، وتِلْمسان، وما والاهما من المدن والقرى ما يزيد على إحدى وأربعين سنة. انظر: السخاوي الضوء اللامع (٢١٤/٤)، والزركلي الأعلام (١٤/٤).

(٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، حوادث سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع مختارات من مجلة العربي الكويتية ــ يناير ٢٠١١م

التجارة وعمدوا إلى الأراضي فاستصلحوا منها الكثير، وأدخلوا أنواعًا مختلفة من الزراعات والحيوانات لم يكن يعرفها الأوروبيون قبل ذلك.

ولم يغفل أهل صقلية في حضارتهم الفنون والآداب الراقية، إلى جانب المدارس وحلقات العلم في المدارس، لدرجة أن ابن حوقل دهش لكثرة المساجد في مدينة بلرم وحدها وجهة طلاب العلم من سائر أنحاء صقلية، فقال ابن حوقل عن كثرة المساجد:" وسألت عن ذلك فأخبرت أنّ القوم لشدّة انتفاخ رؤوسهم كان يحبّ كلّ واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته وربّما كانا أخوان،... وقد عمل كلّ واحد منهما مسجدًا لنفسه ليكون جلوسه فيه[١].

وانتشرت المكاتب وكثر المعلمون وخاصة تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، ووصلوا إلى درجة كبيرة في الجانب التخصصي لدرجة كان لهم دراسات عليا في علوم كثيرة دينية وغير دينية.

ولم يفعل النورمان كما فعل الإسبان في الأندلس حين اعتبروا أن آثار المسلمين نجس وأن المسلمين رجس ولا يمكن تطهيره إلا بالنار، وهدمت الجدران وتأخرت إسبانيا زمنًا.

لكن النورمان كانوا على النقيض منهم حيث هم كانوا أكثر حكمة من الإسبان عندما أبقوا على حضارة العرب، وحاكوهم واستفادوا من كل ما تركوا إلا الدين الإسلامي، فقد كانت عداوة الإسلام، وعلى الأصح، كانت الصورة التي قرّت في أذهانهم عنه مما يصعب محوه، ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمان الإسلام واتخذوه دينًا لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمنًا وأبقى[٢].

كما ذكر عادل زيتون: [٣] أن هناك عدة عوامل جعلت النورمان يتخذون هذا الموقف الإيجابي من حضارة المسلمين في صقلية:

أولًا: سياسة التسامح الديني التي تبناها النورمان في حكمهم للجزيرة. فقد كان يسكن صقلية عندما فتحها النورمان: العرب والإغريق واللاتين وغيرهم. وأدرك النورمان أن قيادة هذه الشعوب بنجاح وتحقيق التوازن بين مصالحها وتأمين سلامة الدولة، يقتضي

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي(ت بعد ٣٦٧هـ): صورة الأرض: دار صادر ــ أفست ليدن ــ بيروت ١٩٣٨م ج١ ص١٢٠، ١٢١.

(٢) إحسان عباس: العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والأدب): دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى ١٩٧٥م صفحات متفرقة، عبد الجليل شلبي: حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوربية: مقال منشور بموقع رابطة العلماء السوريين بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١م.
https://islamsyria.com/site/show_articles/٢٦٢

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع قصة الإسلام، بتاريخ ٢٠١٣م.

تبني سياسة التسامح الديني ومراعاة عادات هذه الشعوب وتقاليدها. وكان أول من وضع أسس هذه السياسة هو روجر الأول، وسار أبناؤه وأحفاده على نهجه. فقد حذرّ روجر هذا من إكراه رعاياه المسلمين على اعتناق المسيحية، كما منع الأساقفة من تنصير جنده المسلمين. وأكدّ الإدريسي (ت١١٦٦م) هذه السياسة عندما تحدث عن عهد روجر الأول بقوله: "ولما صار أمرها إليه واستقر بها سرير ملكه نشر سيرة العدل في أهلها وأقرهم على أديانهم وشرائعهم وأمنهم في أنفسهم وأموالهم وأهلهم وذراريهم". إن نهج التسامح هذا ساعد النورمان على تقبل حضارة العرب واستيعابها والإفادة منها.

ثانيًا: تشجيع العلم والعلماء، حيث شغف الملوك النورمان بالعلم والمعرفة، وحظي العلماء باحترامهم وتشجيعهم . فهذا الإدريسي يقول عن روجر الثاني إنه "اخترع من المخترعات العجيبة... ما لم يسبقه أحدٌ من الملوك". كما كان محبًا لأهل العلم ويميل إلى مجالستهم، فكان الإدريسي يأتي إليه راكبًا بغلةً فإذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معًا. كما كان وليام الثاني شغوفًا بصحبة رجال العلم ولاسيما الأطباء والمنجمين منهم، حتى إنه متى ذكر له أن طبيبًا أو منجمًا اجتاز ببلده أمرَ بإمساكه ومنحه أموالًا وأرزاقًا حتى يسليه عن وطنه.

إن هذا الشغف بالعلم وأهله جعلهم يقدرون الحضارة العربية حق قدرها ويقبلون على إنجازاتها(١).

ثالثًا: إن تفوق الحضارة العربية التي ورثها النورمان عن أسلافهم عرب صقلية من ناحية وضعف حضارة النورمان أنفسهم من ناحية أخرى شكل بدوره عاملًا مهمًا شجع النورمان على احتضان حضارة العرب، فمن طبيعة الحضارة الأقوى أنها تفرض إنجازاتها، وبشكلٍ عفوي، على أصحاب الحضارة الأضعف، فحينما هاجر النورمان من نورماندیا إلى إيطالية الجنوبية في أوائل القرن الحادي عشر، كانوا مجرد مرتزقة يخدمون بسيوفهم لمن يدفع لهم أكثر من القوى السياسية والدينية المتنازعة فيها، ولكن عندما فتحوا صقلية كان أمامهم إما الإبقاء على عقلية العصابات أو بناء دولة متحضرة، فأخذوا في الخيار الثاني وتبنوا منجزات الحضارة الأكثر ازدهارًا وتقدمًا في الجزيرة وهي الحضارة العربية.

رابعا: لم يخضع البلاط النورماني في صقلية لتحريض البابوية والأساقفة ومحاكم التفتيش ضد العرب والإسلام، كما كان الحال آنذاك في إيطاليا وإسبانيا وغيرهما من

(١) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: عالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ج١ ص١، ٥.

البلاد الأوربية. فالعلاقات بين النورمان والبابوية بدأت عدائية، بل قاد البابا ليو التاسع عام ١٠٥٣م جيشاً ضد النورمان، ولكنه هزم ووقع البابا نفسه في الأسر النورماني. ولذلك فإن انعدام التحريض الديني في البلاط النورماني ضد العرب المسلمين أسهم في إقبال النورمان على الحضارة العربية دون تيارات دينية مضادة.

خامسًا: إن العلاقات الودية التي قامت بين الملوك النورمان وجماهير العرب المسلمين في صقلية سهلت انتقال الكثير من مظاهر الحضارة العربية إلى أوساط النورمان، فالتسامح والعدل واحترام عادات العرب وتقاليدهم.. خلق لملوك النورمان الاحترام والمحبة بين عرب صقلية، فهذا ابن الأثير يقول عن الملك روجر الثاني إنه "أكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج وأحبوه". وكذلك لا نستغرب عندما نقرأ أن عرب صقلية أظهروا الحزن على وفاة أكبر أبناء روجر الثاني ورثاه شعراؤهم، بل إن النساء المسلمات في بالرمو لبسن السواد وتركن شعورهن حزناً عليه والتففن حول القصر الملكي ناحباتٍ وسارت خادماتهن في الشوارع ترتلن مقطوعات الرثاء[١].

تأثر النورمان بالحضارة الإسلامية:

أولاً: على المستوى العلمي.

حرص النورمان على استمرار العلوم العربية في صقلية أيام النورمان، وأصبح للمساجد دورًا هامًا في المجتمع مع الأخذ في الاعتبار أن المسجد قد تضاءل شأنه في العصر النورماني، إلا أنه كان يقوم بدوره في تدريس الدراسات الدينية واللغوية والأدبية، ولما زار ابن جبير صقلية وجد المساجد فيها محاضر لمعلمي القرآن[٢].

وفي عهد النورمان أصبح القصر أو الأمير هو الكعبة الكبرى التي تحوم حولها العلوم كما تحوم الآداب كما أن اللغة العربية استمرت سائدة في الجزيرة في العهد النورماني إلى جانب اللاتينية والإغريقية، بل إن عددًا من الملوك النورمان، أمثال وليام الأول والثاني، كانوا يجيدون القراءة والكتابة والتحدث بالعربية، كما ازدهرت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وكان من أبرز المترجمين يوجين الأمير الذي ترجم من العربية إلى اللاتينية بعض المؤلفات مثل كتاب (البصريات) لمؤلفه (بطليموس) كما أسهم في ترجمة كتاب (كليلة ودمنة)، ودخلت صقلية في العصر النورماني كتب عربية كثيرة

(١) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع قصة الإسلام، بتاريخ ٢٠١٣م.

(٢) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٣، إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٥٧.

فمثلًا استحضر الملك رجار الثاني عددًا كبيرًا من مؤلفات الجغرافيين العرب أمثال المسعودي وابن خرداذبة وابن العذري وابن حوقل واليعقوبي وغيرهم(١).

أما العلماء والشعراء العرب المسلمون الذين ظلوا في صقلية النورمانية، وغدا لهم شأن كبير لدى الملوك النورمان، فنذكر من العلماء: ابن ظفر الذي كان عالمًا في النحو واللغة والدين وشغل منصبًا رفيعًا في الدولة النورمانية، ومحمد بن عيسى، الذي كان عالمًا بالهندسة والنجوم، وابن المعلم الذي كان عالمًا باللغة وماهرًا بالطب وغيرهم. أما الشعراء الذين عاشوا في ظل النورمان ونظموا قصائد المديح لهم فنذكر منهم: عبد الرحمن الأطرابنشي وعبد الرحمن البثيري، وعمر بن حسن وسراج بن أحمد وابن بشرون وغيرهم، وتجدر الإشارة إلى أن الشعر الغنائي الذي ساد صقلية في العصر النورماني كان ممزوجًا بالأغاني العربية المنتشرة بين العرب المسلمين في بالرمو (٢).

أما علم الجغرافيا فكان من أبرز العلوم التي ازدهرت على أيدي العرب في صقلية النورمانية. فمن المعروف أن رجار الثاني كان قد دعا إلى بلاطه الجغرافي المغربي الشريف الإدريسي، وشمله بكل مظاهر التكريم، وأنجز الإدريسي برعاية هذا الملك وتشجيعه ثلاثة إنجازات علمية وهي:

أ ــ رسم صورة الأرض في دائرة من الفضة ووضع أقسام الأقاليم عليها.

ب ــ رسم مجموعة من الخرائط للعالم على الورق تفوق في دقتها ووضوحها خريطة بطليموس الشهيرة.

جـ ــ ألّف كتابه المعروف وهو "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وهو الذي عرف بالكتاب الرجاري، وهو شرح لما ورد في المجسم الفضي الذي نحتت عليه خريطة العالم. كما وضع الإدريسي كتابًا آخر في الجغرافيا للملك وليام الأول بعنوان "روض الأنس ونزهة النفس"(٣).

كما حدث تطور كبير في تنظيم مهنة الطب في صقلية النورمانية بتأثير مباشر من الحضارة العربية، كما أن معظم أطباء الملوك النورمان كانوا من الأطباء العرب المشهورين ببراعتهم العلمية والتنظيمية، وقد أصدر رجار الثاني أمرًا يلزم فيه جميع الأطباء في المملكة بالحصول على إذن أو ترخيص خاص من موظف مختص وإلا

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص٤، ٥، إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٢) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٣) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٦١، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

تفرض عليهم عقوبات قاسية كالحبس ومصادرة الأموال، وقد أُدخل هذا النظام من صقلية إلى الغرب الأوربي. وكان أساسًا صالحًا لإعداد طبقة من الأطباء الأكفاء(١).

كان هذا النظام الإصلاحي قد فعله قبل ذلك الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ــ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ــ٩٣٤م) في مهنة الطب، فقد أصدر عام (٣١٧هـ/٩٣١م) قانوناً بتحريم ممارسة مهنة الطب على أي طبيب ما لم يخضع لامتحانٍ في الطب أمام لجنة من الأطباء برئاسة طبيبه الخاص سنان بن ثابت بن قرة، وكان من ينجح في هذا الامتحان يّزود بترخيص أو إذن خطي يسمح له بممارسة المهنة، وكان سبب ذلك أَن غَلطا جرى على رجل من الْعَامَّة من بعض المتطببين فَمَاتَ الرجل (٢).

ثانيًا: الجانب الاقتصادي.

قال عادل زيتون: تتحدث المراجع التاريخية عن أن الكثير من الصناعات العربية ظلت قائمة ومزدهرة في العصر النورماني. فمثلًا كان هناك مصنع للحرير ومعهد للتطريز بالقرب من القصر الملكي في بالرمو. وكان هذا المصنع يقوم بإعداد ملابس الملوك النورمان وتطريزها، ولاسيما الثياب الفاخرة التي توشى بالنقوش العربية واللاتينية. ومن الملابس التي لازالت باقية إلى الآن من هذا المصنع عباءة الملك النورماني روجر الثاني التي ارتداها في حفل تتويجه ملكًا في بالرمو عام ١١٣٠م. وكان قد صنعها نساج عربي اسمه عبدالله، وهي مصنوعة من الحرير الثقيل القرمزي رسمت عليها شجرة نخيل تحمل ثمارًا ذهبية، وعلى كل من جانبيها صورة أسد يضرب بمخلبه جملًا. وكانت الرسوم مطرزة بالذهب يحيط بها آلاف من اللآلئ وثلاث ياقوتات كبيرة. وقد كتب النساج باللغة العربية على حافة العباءة عبارات تتضمن الدعاء للملك روجر الثاني أن يكون محبوبًا ويعيش في عزٍ ومجد وأن تتحقق آماله وتغمره السعادة طوال أيام حياته. كما كتب مكان وزمان صنع العباءة على النحو التالي: "صنع في عاصمة صقلية في سنة ٥٢٨هجرية".

وعلى الجانب الزراعي فمع إن الحروب التي دارت بين النورمان وعرب صقلية قد ألحقت أبلغ الأضرار بالزراعة والفلاحين ووسائل الري، ولكن الزراعة استمرت في نهضتها التي شهدتها أيام الحكم العربي للجزيرة. فمن المعروف أن العرب أدخلوا إليها الكثير من المزروعات مثل: زراعة القطن وقصب السكر والزيتون والنخيل والبرتقال

(١) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٢) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء: تحقيق/ نزار رضا ــ دار مكتبة الحياة ــ بيروت ص٣٠٢.

والفستق والموز والزعفران...إلخ. كما أقام العرب شبكة واسعة من الترع والقنوات التي لاتزال آثارها إلى اليوم. كما ظلت معظم التجارة، أيام النورمان، بأيدي العرب. (١).

أما التجارة فقد ظل معظمها بأيدي العرب أيام النورمان، ورغم أن تجار المدن الإيطالية، قد حصلوا على امتيازات تجارية في الجزيرة من قبل الملوك النورمان، إلا أن ذلك لم يقلل من نشاط التجار العرب في صقلية وعالم البحر المتوسط، وأكد ابن جبير ذلك بقوله إن "الأسواق معمورة بهم وهم التجار فيها.."(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن العملة التي أصدرها الملوك النورمان في صقلية كانت متأثرة بالعملة الفاطمية في شكلها وقيمتها، واشتملت على كتابات عربية ولاتينية وإغريقية وحملت رموزًا إسلامية ومسيحية(٣).

وبالنسبة للصناعات فكان هناك مصنع للحرير وآخر للتطريز بالقرب من القصر الملكي في بالرمو، وكان هذا المصنع يقوم بإعداد ملابس الملوك النورمان وتطريزها، ولاسيما الثياب الفاخرة التي توشى بالنقوش العربية واللاتينية، ومن الملابس التي صنعت في هذا المصنع عباءة الملك النورماني رجار الثاني (١١٣٠ــ١١٥٤م) التي ارتداها في حفل تتويجه ملكًا في بالرمو عام (١١٣٠م)، وكان قد صنعها نساج عربي اسمه عبد الله، وهي مصنوعة من الحرير الثقيل القرمزي رسمت عليها شجرة نخيل تحمل ثمارًا ذهبية، وعلى كل من جانبيها صورة أسد يضرب بمخلبه جملًا، وكانت الرسوم مطرزة بالذهب يحيط بها آلاف من اللآلئ وثلاث ياقوتات كبيرة، وقد كتب النساج باللغة العربية على حافة العباءة عبارات تتضمن الدعاء للملك رجار الثاني أن يكون محبوبًا ويعيش في عزٍ ومجد وأن تتحقق آماله وتغمره السعادة طوال أيام حياته، كما كتب عليها مكان وزمان صنع العباءة في صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة"(٤).

ثالثًا: الجانب الإداري.

كانت الصبغة الإسلامية الإدارية ــ خلا بعض الألقاب ــ وقفًا على المسلمين، إلا أن الصبغة الإسلامية عامة امتدت أيام النورمان إلى الكثير من نواحي الحياة، لأن الحضارة الإسلامية كانت غالبة على الجزيرة، وفي ظلها نشأ رجار وخلفاؤه، فوجدوا أنفسهم يقتبسوها ويفيدون منها، وقد وضحت هذه الصبغة في حياة البلاط نفسه، فتشبه رجار

(١) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص٧٣، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع مختارات من مجلة العربي الكويتية.

(٢) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٣.

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية:

(٤) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٤٧، جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: تراث الإسلام: ترجمة/ حسين مؤنس وآخرون ــ تحقيق/ شاكر مصطفى ــ عالم المعرفة ــ الكويت ١٩٨٥م ج١ ص٣٥٠، ٣٥١.

بملوك المسلمين في الاستكثار من الجنائب[١] والحجاب[٢] والسلاحية[٣] والجاندارية[٤] وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فإنهم لا يعرفون شيئا منها، وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكوى المظلومين، فينصفهم[٥]، وتصفه الوثائق العربية ويلقبه الإدريسي بالملك المعظم المعتز بالله المقتدر بقدرته[٦].

كما أنه كان يتشبه بملوك المسلمين في تفخيم أبهة ملكه وزينته، وكان يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته " الحمد لله حق حمده"، وكانت الصبغة الإسلامية في الألقاب فلقب الأمير يطلق على ناس من غير المسلمين، وأعلى لقب أمير الأمراء وأشيعها لقب القائد للمدنيين والعسكريين على السواء، وزاد هذه الصبغة وضوحًا أن اللغة العربية كانت إحدى اللغات الثلاث التي أقرتها الدولة في سجلاتها، والأخريان هما اليونانية واللاتينية[٧].

من كل ما سبق يتضح بجلاء تام تأثر النورمان بالحضارة الإسلامية الأمر الذي جعل رجار يتخذ ألقابًا لدولته ولنفسه كما يفعل خلفاء وحكام المسلمين، وكذلك إنشاء دواوين كالدول الإسلامية مثل ديوان المظالم.

رابعً: الجانب المعماري: ظل الفن المعماري في صقلية النورمانية يحمل الطابع العربي الإسلامي، فقد أقام الملوك النورمان في صقلية قصورًا بناها أسلافهم العرب، مثل قصر البحر العذب في بالرمو، كما شيدوا قصورًا جديدة شيدها لهم المهندسون المعماريون العرب في بالرمو على هدي الطراز العربي الإسلامي مثل قصر العزيزة الذي شيد في عهد وليام الأول وقصر القبة الذي شيد في عهد وليام الثاني، وعندما زار ابن جبير صقلية رأى قصرين من قصور العرب، التي لا تزال قائمة، بالقرب من العاصمة، وهما قصر سعد وقصر جعفر[٨].

(١) الجنائب: قال ابن منظور: جناب الرجل: الذي يسير معه إلى جنبه، والجنائب هي الخيول التي تسير وراء السلطان في الحروب لاحتمال الحاجة إليها، (لسان العرب: ج١ ص ٢٧٦، القلقشندي، صبح الأعشى ج٤، ص ٣٨١).

(٢) الحاجب هو من يبلغ الأخبار من الرعية إلى الأمام، ويأخذ لهم الأذن منه (القلقشندي: المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٤٩).

(٣) السلاحية: هم أولئك الذين يحملون سلاح الأمير أو السلطان (القلقشندي: المصدر السابق، ج٥، ص ٤٥٦).

(٤) الجاندار: هو الذي يستأذن على الأمراء في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل (المصدر السابق، ج٥ ص ٤٦١).

(٥) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٣٤٩.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق: ج١ ص٤.

(٧) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٤٥.

(٨) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٣، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

كما استمرت المدن الصقلية تحوي المساجد والحمامات والفنادق والمباني الفخمة التي شيدت على الطراز العربي وزينت بالرخام الثمين والفسيفساء الزاهرة. بل أسهم المعماريون العرب المسلمون في تشييد الكنائس والأديرة وزينوها بالفسيفساء العربية(١).

خامسًا: تأثير المرأة العربية على المجتمع في العهد النورماني.

كان للمرأة العربية دورًا حضاريًا في المجتمع النورماني، فأزياؤها انتشرت بين نساء النورمان، ويؤكد هذه الحقيقة ابن جبير بقوله: "وزي النصرانيات في هذه المدينة (بالرمو) زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن ملتحفات منتقبات، خرجن في هذا العيد المذكور" (وكان ذلك عيد ميلاد السيد المسيح) وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن اللحف الرائعة وانتقبن بالنقب الملونة وانتعلن الأخفاف المذهبة وبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر"(٢).

كما أن الكثير من النساء المسيحيات في البلاط النورماني اعتنقن الإسلام بتأثير من المسلمات اللواتي يعملن في البلاط"(٣).

ختامًا لا يخفى على أحد كيف تاثر النورمان –الفايكنج– بالحضارة الإسلامية، بل على العكس تمامًا هم حافظوا عليها واستفادوا منها وأكرموا العلماء وأغدقوا عليهم العطايا، وكان للحضارة الإسلامية هي النقطة الأساسية التي نبتت عليها حضارة النورمان.

قال مونتجمري اعترافًا بفضل الحضارة الإسلامية على أوربا: " نحن الأوروبيين نجهل الفضل الذي تدين به ثقافتنا للإسلام، وفي بعض الأحيان، نستخف بمدى التأثير الإسلامي في تراثنا وأهميته، وفي أحيان أخرى نتجاهله كليًا، ولبناء علاقات جيدة مع العرب والمسلمين علينا الاعتراف بهذا الفضل كاملًا، فإنكاره ليس إلا كبرياء زائفًا"(٤).

(١) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٢) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٤.

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٤) وليام مونتجمري وات: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى: ترجمة/ سارة إبراهيم الذيب ــ جسور للترجمة والنشر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ص١٤.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى الآتي:

١) أن القرصنة هي اعتداء مسلح يقوم به بعض القراصنة على السفن بقصد النهب والسلب،

٢) أو تحقيق منفعة اقتصادية أو سياسية.

٣) كان الفايكنج (النورمان) من أبرز القراصنة في العصور الوسطى.

٤) كانت هناك عدة دوافع نفسية، واقتصادية، واجتماعية، سياسية دفعت الفايكنج للقيام بأعمال القرصنة خلال العصور الوسطى.

٥) أسس القراصنة الفايكنج (النورمان) لهم بعض المقاطعات في أوربا كنورمنديا.

٦) قام الفايكنج (النورمان) بعدة غارات على الأندلس الإسلامية منذ عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م) خلال عصر الإمارة، وحتى عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) خلال عصر ملوك الطوائف، وقاموا بتخريب بعض المدن والاستيلاء على بعض الغنائم والأسرى.

٧) استطاع الفايكنج (النورمان) الاستيلاء على صقلية الإسلامية عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م) وأقاموا فيها دولة استمرت حتى عام (٥٩١هـ/١١٩٤م).

٨) كان هناك تواصل حضاري بين الفايكنج (النورمان) ودول أوربا فقد أثرت حضارة الفايكنج وتأثرت بالحضارة الأوربية التي هذبت طبائعهم وعاداتهم، فاعتنقوا المسيحية و صاروا حماة لهذا الدين، واعتبروا أنفسهم أتباعًا للكنيسة، وشغفوا ببناء الكنائس والأديرة، كما شاركوا في الحروب الصليبية دفاعًا عن دينهم.

٩) تحول الفايكنج (النورمان) من قراصنة كل هدفهم السلب والنهب إلى الاستقرار وإقامة حكم ذاتي لهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح لهم دولًا يحكمونها كنورمنديا وصقلية، وبالتالي راحوا يتعرفون على الحضارات التي كانت قائمة في هذه الدول قبل قدومهم إليها.

١٠) كان هناك تواصل حضاري بين المسلمين و الفايكنج (النورمان) عن طريق بعض السفارات التي أرسلت بين الطرفين كسفارة ابن فضلان التي أرسلها الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ـ٣٢٠هـ/٩٠٨ـ٩٣٤م)، وسفارة يحيى الغزال التي أرسلها الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ـ٢٣٨هـ/٨٢٢ـ٨٥٢م).

١١) يعرف الفايكنج (النورمان) في بعض المصادر العربية باسم الأردمانيين أو المجوس، أما في المراجع الأوربية فيعرفون باسم الفايكنج (vikings) وقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة فايكنج (Viking).

١٢) يرجع أصل الفايكنج إلى العنصر الجرماني: وهم قوم من البدو الرحل الذين كانوا يعشقون الحرب ويزدادون شغفًا بالصيد ويجوسون خلال الغابات والمستنقعات وهم دائمًا على أهبة الرحيل من مكان إلى مكان.

١٣) اتخذت شعوب الفايكنج القرصنة مهنة لها وعرفوا بذلك، وقد بدأت هذه العناصر تغير على العالم الأوربي الجنوبي.

١٤) القرصنة هي اعتداء مسلح يقوم به طاقم سفينة في أعالي البحار على سفينة أخرى بقصد النهب والسلب.

١٥) يرى البعض أن الفايكنج لم يكونوا برابرة بمعنى الكلمة، وذلك لأنهم أظهروا مزيجًا عجيبًا من البدائية والنزعة الحضارية، إذ ظلوا محتفظين ببعض تقاليدهم البدائية من جهة، في حين فاقوا كثيرًا من شعوب أوربا المجاورة في بعض نواحي النشاط البشري، وبصفة خاصة الحروب والتجارة والتنظيم الاجتماعي من جهة أخرى.

١٦) أثرت الحضارة الإسلامية في الفايكنج كما أثرت وتأثرت بغيرها من الأمم الأخرى، وقد كان التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج عند طريق عدة وسائل.

١٧) ظل النورمان لمدة ثلاثين عامًا يرسلون حملاتهم إلى صقلية ، حتى تم لهم الاستيلاء على الجزيرة وانتزاعها من أيدي المسلمين .

١٨) وقعت في نهاية حُكْم الكَلْبِيِّين صِراعات أدخلت الجزيرة في انقسامات داخلية، فغزاها النورمان النصارى سنة أربع وأربعين وأربعمائة بقيادة روجر (روجار) الأول.

١٩) لما دخل النورمان صقلية أدهشهم ما نقله المسلمون إليها من رقي وحضارة.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر المراجع العربية:

١) إبراهيم مصطفي وآخرون: المعجم الوسيط: تحقيق المجمع اللغوي ــ تركيا ــ المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية ٢١٣٩هـ.

٢) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء: تحقيق/ نزار رضا ــ دار مكتبة الحياة ــ بيروت.

٣) ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر١٩٨٥،

٤) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٥) ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩،

٦) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ): تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق/ إبراهيم الإبياري ــ دار الكتاب المصري ــ القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

٧) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق/ إحسان عباس ــ الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ، تونس الطبعة: الأولى ١٩٨١م.

٨) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير: دار ومكتبة الهلال ــ بيروت.

٩) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي(ت بعد ٣٦٧هـ): صورة الأرض: دار صادر ــ أفست ليدن ــ بيروت ١٩٣٨م.

١٠) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: المحقق: خليل شحادة ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

١١) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب: تحقيق/ الأستاذ إبراهيم الإبياري وآخرون ـــ دار العلم للجميع ــ بيروت ـــــ لبنان ــ ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

١٢) ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان، ١٩٨٣،

١٣) ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت. نحو ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الثالثة ١٩٨٣م.

١٤) ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس (ت بعد ٣١٠هـ): رحلة ابن فضلان إلى بلاد التـرك والروس والصقالبة: دار السويدي ــ أبو ظبي الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م .

١٥) إحسان عباس: العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والأدب): دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى ١٩٧٥م.

١٦) أحمد عطية الله: القاموس السياسي: دار النهضة العربية ــ القاهرة١٩٦٨م.

١٧) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلس، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت،

١٨) أحمد، عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ١٩٨٠م،

١٩) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفـاق: عـالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٠) أينهارد: سيرة شارلمان: ترجمة/ عادل زيتون ــ دار حـسان ــ دمـشق ــ الطبعـة الأولـي ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢١) بسام العسلي: سلسلة جهاد شعب الجزائر : دار النفائس ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعـة الثالثـة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

٢٢) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك: دار الغرب الإسلامي ــ١٩٩٢م.

٢٣) توفيق المدني أحمد، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط١، مكتبة الاستقامة، تـونس، د.ت.

٢٤) توفيق، عمر كمال، المجتمع العربي الإسلامي في بلرم، مجلة عالم الفكر، مجلـد١٤، العـدد ٤، الكويت، ١٩٨٤م، ص١١٠٢.

٢٥) جمعة محمد مصطفى الجندي، علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقيـة خـلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، كلية التربية، جامعة عين شمس، الحولية الثالثة والعشرون، ١٤٢٣ه ــ ٢٠٠٢م.

٢٦) جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: تراث الإسلام: ترجمة/ حسين مؤنس وآخرون ــ تحقيـق/ شاكر مصطفى ــ عالم المعرفة ــ الكويت ١٩٨٥م.

٢٧) الحجي علي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطـة، ط٢، دار القلم، دمشق، سوريا ٢٠٠٨م.

٢٨) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: دار الكتاب المتحدة ـــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م.
٢٩) ريتستيانو، أمبرتو، النورمان وبنو زيري من الفتح النورماني لصقلية حتى وفاة رجار الثاني (٤٥٣-٥٤٨هـ/١٠٦١-١١٥٤م)، مجلة الآداب، جامعة القاهرة، السنة الثانية، ١٩٤٩م،
٣٠) سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس: الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة ــ المملكة العربية السعودية ــ الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣١) سالم عبد العزيز و العبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ١٩٦٩،
٣٢) ستيفان رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: ترجمة/ السيد الباز العريني ـــ القاهرة ـــ الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٣٣) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٩٧٦م.
٣٤) السيد الباز العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان ـــ
٣٥) شريف عبد العزيز: هجوم الفايكنج على العالم الإسلامي: مقال بموقع ملتقى الخطباء.
٣٦) طه خضر عبيد: الحضارة العربية الإسلامية: دار الكتب العلمية ـــ بيروت ــ لبنان.
٣٧) الطيبي، أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤م،
٣٨) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع قصة الإسلام ـــ أبريل ٢٠١٣م.
٣٩) عبد الجليل شلبي: حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوربية: مقال منشور بموقع رابطة العلماء السوريين بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١م.
٤٠) عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي: دار القلم ــ دمشق ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
٤١) عمر عبد المنعم إبراهيم: الفايكنج والإمبراطورية الكارولنجية: رسالة ماجستير ــ كلية الآداب ــ جامعة عين شمس ــ٢٠٠٩م.
٤٢) فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة / محمد مصطفى زيادة ــ السيد الباز العريني ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة السادسة.
٤٣) كافين رايلي: بحث بعنوان العنف والانتقام: ترجمة/ عبد الوهاب محمد وآخرون ــ مجلة عالم المعرفة ـــ مجلس الثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ١٤٠٥هـــ.
٤٤) كرزسيتوف ويلزينسكي: تاريخ القرصنة، الموقع على شبكة الإنترنت: بعنوان

٤٥) مايكل كرايتون: أكلة الموتى عن مخطوطة ابن فضلان: دار الهلال ـــــ الطبعة الثانية١٩٩٩م.
٤٦) محمد مرسى الشيخ: تاريخ أوربا في العصور الوسطى : دار المعرفة الجامعية ــ الإسكندرية ــ ١٩٩٠م.
٤٧) مريم آيت أحمد: مستويات الحوار الحضاري: نقلا عن: مجلة حراءــ العدد: ٣٢ لسنة ٢٠١٢م.
٤٨) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، حوادث سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.
٤٩) الممالك الجرمانية : دار الكتب الجامعية ــ الإسكندرية ــ ١٩٧٥م.
٥٠) ممدوح حسين: الحملات الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري: دار عمـــار ــ عمـــان ــ الأردن ــ الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م.
٥١) مهند الفلوجي: الفايكنغ والإسلام: تاريخ منسيّ يوثقه معجم الفردوس: مقال منشور بموقـــع فكـــر بتاريخ ٢٠١٥/٦/٥م.
٥٢) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة/ علي السيد علي ــ المجلس الأعلـــى للثقافة ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٥٣) وِل ديورَانت: قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمُود وآخرين ــ دار الجيل ــ بيـــروت ــ لبنان ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ تونس ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م.
٥٤) وليام مونتجمري وات: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى: ترجمة/ سارة إبراهيم الذيب ــ جسور للترجمة والنشر ــ بيروت ـــــ الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
٥٥) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمـــة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨،
٥٦) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـــ): معجم البلدان: دار صادر ــ بيـــروت ــ الطبعة: الثانية ١٩٩٥م .

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

١) Allen Mawer: The Vikings camb. med hist .
٢) Daniel, N., The Arabs and Mediaeval Europe, London, ١٩٧٥.
٣) Haskins: The Normans in European History , New york ١٩٥٩
٤) Oman: the Dark eges : London ١٩٦٢.
٥) Smith, D. M., Medieval Sicily, London, ١٩٦٩.
٦) Souza, Philip: Ancient Rome and the Pirates (٢٠٠٠).